نَظَرِيَّةُ الْمُثَلَّثِ الدَّلالِيِّ في النَّقْدِ اللِسانِيِّ الغَرْبِيِّ والتَّلَقِّي العَرَبِيِّ

أ.م.د. كيان أحمد حازم يحيى
جامعة بغداد / كلّيّة الآداب - قِسم اللغة العربيّة

المُلَخَّص:

أَهَمُّ ما جَعَلَني أُيَمِّمُ وَجهِي صَوبَ هذهِ النَّظَرِيَّةِ دُونَ غيرِها مِن النَّظَرِيّاتِ الدَّلاليَّةِ الغَربيَّةِ ما رَأَيْتُهُ مِن اضطِرابِ الباحثِينَ العَرَبِ في تَحديدِ حَقيقَةِ هذهِ النَّظَرِيَّةِ في نَفسِها وفي مُوازَنَتِها بِغيرِها مِن النَّظَرِيّاتِ. وما ذاكَ، في اعتِقادِي، إلاّ بِسَببِ تَقاعُسِ القادِرِينَ مِنهُم على النَّهلِ المُباشِرِ مِن مَعينِ المُدَوَّنَةِ اللِسانيَّةِ الغَربيَّةِ، واكتِفاءِ العاجِزِينَ عن ذلكَ بِمُتابَعَةِ أَقوالِ بعضِ أَوائلِ مَن كَتَبَ مِن العَرَبِ عن هذهِ النَّظَرِيَّةِ بِالاعتِمادِ على تَرجَمَةٍ نُتَفٍ مِن هُنا وهُناكَ.

وقد أَدَرْتُ بَحثِي على ثَلاثَةِ مَباحِثَ؛ جاءَ أَوَّلُها مُفصِحًا عن حقيقَةِ هذهِ النَّظريَّةِ، بتتبُّعِ جُذورِها التَّأريخيَّةِ في الإرثِ اللِسانيِّ الغَربيِّ، ثُمَّ بِالإيرادِ المُفَصَّلِ لِمَرحَلَةِ بَلوَرَتِها في العَصرِ الحديثِ. أمّا ثاني المَباحثِ فخَصَصْتُهُ لِبَيانِ أَهَمِّ ما وَقَفْتُ عليهِ مِن أَوجُهٍ نُقِدَتْ بِهِ هذهِ النَّظريَّةُ في الغَربِ، أو استُدرِكَتْ عليها، أو بِتعبيرٍ آخَرَ ما تُلُقِّيَتْ بِهِ مِن نَقدٍ وتَقويمٍ. وأمّا المَبحثُ الثّالثُ فمَحَضْتُهُ لِلحديثِ عَن صُوَرِ تَلَقِّي النَّظريَّةِ واستِقبالِها عندَ مُحدَثِي الدّارِسِينَ العَرَبِ، وما وَقَعوا فيهِ مِن تَخليطٍ واضطِرابٍ لأَسبابٍ يَأتي ذِكْرُها في مَوضِعِها بِإذنِ اللهِ تَعالَى. وأَتبَعْتُ ذلكَ الخاتِمَةَ التي ضَمَّنْتُها أَهَمَّ ما تَوَصَّلَ إليهِ البَحثُ مِن نَتائجَ، ثُمَّ مَسرَدًا بِمَصادِرِ البَحثِ.

The Theory of semantic triangle in the western linguistic criticism and Arabic reception

Dr. Keyan Ahmed Hazim Yahya
University of Baghdad - College of Arts, Department of Arabic language

Abstract:

The most important reason that made me concerned with the theory of the semantic triangle is the confusion I have noticed amongst Arab scholars regarding limitations of the theory itself and its value compared with other theories of meaning.

My paper is divided into three sections: the first is concerned with illustrating what the theory is by tracing its historical origins in the western linguistic traditions, the second reveals the most important criticized aspects of the theory, and the third deals with how the Arab scholars received the theory.

المقدمة:

قَد يَكونُ مِن نافِلَةِ الحديثِ أن يُقالَ إنَّهُ لا مَطمَعَ لَنا في قاعدَةٍ عِلميَّةٍ لِسانيَّةٍ رَصينَةٍ ما لَم نَتَوَفَّرْ على قِراءَةٍ مَسؤُولَةٍ تتناوَلُ بَالمُفاتَشَةِ والمُثاقَفَةِ أَهَمَّ ما يُنجَزُ مِن أَعمالٍ في دائرَةِ اللِسانيّاتِ الغَرْبِيَّةِ والعَرَبيَّةِ.

ويأتي بَحثي في هذا السِّياقِ التَّقويميِّ النَّقدِيِّ؛ إذ يَتناوَلُ بِالفَحصِ والتَّمحيصِ مُتَبَنَّياتِ اللِسانيّاتِ الغَرْبِيَّةِ والعربيَّةِ بِشَأنِ واحِدَةٍ مِن أَشهَرِ نَظَرِيّاتِ المَعْنَى في الفِكرِ اللُغَوِيِّ الغَربيِّ، وهيَ نَظَرِيَّةُ المُثَلَّثِ الدَّلاليِّ لأوغدِن Ogden ورِتشاردز Richards.

وأَهَمُّ ما جَعَلَني أُيَمِّمُ وَجهِي صَوبَ هذهِ النَّظَرِيَّةِ دُونَ غيرِها مِن النَّظَرِيّاتِ الدَّلاليَّةِ الغَربيَّةِ ما رَأَيْتُهُ مِن اضطِرابِ الباحثِينَ العَرَبِ في تَحديدِ حَقيقَةِ هذهِ النَّظَرِيَّةِ في نَفسِها وفي مُوازَنَتِها معَ غيرِها مِن النَّظَرِيّاتِ، حتَّى بَلَغَ بِهم هذا الاضطِرابُ مَبلَغَ أن مَسَخُوا ما هيَ عليهِ، وصَرَفوها عن وِجهَتِها التي أُريدَتْ لَها. وما ذاكَ، في اعتِقادِي، إلاّ بِسَببِ تَقاعُسِ القادِرِينَ مِنهُم على النَّهلِ المُباشِرِ مِن مَعينِ المُدَوَّنَةِ اللِسانيَّةِ الغَربيَّةِ، واكتِفاءِ العاجِزِينَ عن ذلكَ بِمُتابَعَةِ أَقوالِ بعضِ أَوائلِ مَن كَتَبَ مِن العَرَبِ عن هذهِ النَّظَرِيَّةِ بِالاعتِمادِ على تَرجَمَةِ نُتَفٍ مُشَوَّشَةٍ مِن هُنا وهُناكَ لا يُمكِنُ الاتِّكاءُ عليها لِلخُروجِ بِرُؤيَةٍ واضِحَةٍ لِحقيقَةِ النَّظريَّةِ ولِحقيقَةِ ما نُقِدَتْ بِهِ في المَنظومَةِ الدَّلاليَّةِ الغَربيَّةِ.

وقد أَدَرْتُ بَحثِي على ثَلاثَةِ مَباحِثَ؛ جاءَ أَوَّلُها مُفصِحًا عن حقيقَةِ هذهِ النَّظريَّةِ، بتتبُّعِ جُذورِها التَّأريخيَّةِ في الإرثِ اللِسانيِّ الغَربيِّ، ثُمَّ بِالإيرادِ المُفَصَّلِ لِمَرحَلَةِ بَلوَرَتِها في العَصرِ الحديثِ. أمّا ثاني المَباحثِ فخَصَصْتُهُ لِبَيانِ أَهَمِّ ما وَقَفْتُ عليهِ مِن أَوجُهٍ نُقِدَتْ بِها هذهِ النَّظريَّةُ في الغَربِ، أو استُدرِكَتْ عليها، أو بِتعبيرٍ آخَرَ ما تُلُقِّيَتْ بِهِ مِن نَقدٍ وتَقويمٍ. وأمّا المَبحثُ الثّالثُ فمَحَضْتُهُ لِلحديثِ عَن صُوَرِ تَلَقِّي النَّظريَّةِ واستِقبالِها عندَ مُحدَثِي الدّارِسِينَ العَرَبِ، وما وَقَعوا فيهِ مِن تَخليطٍ واضطِرابٍ لأَسبابٍ يَأتي ذِكْرُها في مَوضِعِها بِإذنِ اللهِ تَعالَى. وأَتبَعْتُ ذلكَ الخاتِمَةَ التي ضَمَّنْتُها أَهَمَّ ما تَوَصَّلَ إليهِ البَحثُ مِن نَتائجَ، ثُمَّ مَسرَدًا بِمَصادِرِ البَحثِ. فأسأَلُهُ تَعالَى السَّبيلَ القاصِدَةَ، والفِكرَةَ المُمَحِّصَةَ، وأَعوذُ بِهِ مِن مُضِلاّتِ الفِجاجِ، وفَطِيرِ الآراءِ، إنَّهُ وَلِيُّ ذلكَ والقادِرُ عليهِ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ/ النَّظَرِيَّةُ الإحالِيَّةُ في الفِكْرِ اللِسانيِّ الغَرْبيِّ:

لَمّا كانَتْ نَظريَّةُ المُثَلَّثِ الدَّلاليِّ إحدَى النَّظريّاتِ الإحالِيَّةِ في دِراسةِ المَعنَى كانَ لِزامًا قبلَ تَفصيلِ القَولِ فيها استِعراضُ المنظومةِ الدَّلاليَّةِ الكُبرَى التي تنتَمي إليها. فقد أَشارَ ستيفِن أُولمان إلى أنَّ ثَمَّةَ اتِّجاهَيْنِ رَئيسَيْنِ لِدِراسَةِ المَعنَى في الفِكرِ اللِسانيِّ الغَربيِّ، أَطلَقَ على أَحَدِهِما اسمَ

المَنهَجِ التَّحليليِّ أو الإحالِيِّ analytical or referential approach ويَقومُ على أساسِ مُحاوَلَةِ إحرازِ المَعنَى بِتَفكيكِهِ إلى مُكَوِّناتِهِ الرَّئيسةِ. أمّا الاتِّجاهُ الآخَرُ فسَمّاهُ المَنهَجَ الإجرائيَّ operational approach ويَستَنِدُ إلى دِراسَةِ تَصَرُّفِ الكَلماتِ، ويُعنَى بِاستِعمالِ المَعنَى أَكثَرَ مِن عِنايَتِهِ بِحقيقَتِهِ[١]. ولَمّا كانَ بَحثي في نَظريَّةٍ يَستَنِدُ عَمَلُها إلى المَنهَجِ التَّحليليِّ أو الإحالِيِّ وَجَبَ النَّظَرُ في تَطوُّرِ المَوقِفِ مِن مُكَوِّناتِ المَعنَى عبرَ تَأريخِ الفِكرِ الغَربيِّ وُصولاً إلى مَرحلةِ بَلورَةِ النَّظريَّةِ ونُضجِها في العَصرِ الحديثِ.

- الدّالُّ والمَدلولُ عِندَ الإغريق:

عُرِفَ مُنذُ أَقدَمِ العُصورِ أَنَّ لِلدَّلالَةِ عُنصُرَيْنِ هُما: الدّالُّ والمَدلولُ، وأنَّ ارتِباطَهُما يُؤَدِّي إلى حُصولِ الدَّلالَةِ. لكِنَّ المُشكِلَةَ الرَّئيسَةَ تَكمُنُ في تَحديدِ طبيعَةِ هذَيْنِ العُنصُرَيْنِ، وطَبيعَةِ العَلاقَةِ بينَهُما[٢]. ومِن أَقدَمِ الاتِّجاهاتِ في ذلكَ وِجهَةُ النَّظَرِ التي أَطلَقَ عليها فرانك بالمَر اسمَ (مَذهَبِ التَّسْمِيَةِ Naming)[٣] الذي تَبَنّاهُ أفلاطونُ في مُحاوَرَتِهِ المَشهورةِ التي عُنوانُها (كراتيلوس Cratylus) والتي خَصَّصَها لِلمسائلِ اللُّغَويَّةِ[٤]، إذ عَدَّ الدّالَّ signifier كلِمةً في اللغةِ، والمَدلولَ signified شَيئًا موجودًا في العالَمِ تُمَثِّلُهُ الكَلِمةُ، أَو تُحيلُ عليهِ، أو تَدُلُّ عليهِ[٥]. فخَيْرُ وسيلَةٍ لِلحصولِ على المَعنَى على هذا المَذهَبِ هيَ الإشارَةُ بِاليَدِ إلى الشَّيءِ الذي تُمَثِّلُهُ الكلمةُ[٦].

وتَبَنَّت المَدرَسَةُ الرّواقيَّةُ التي أَسَّسَها زينون تَمييزَ أفلاطونَ الدّالَّ مِن المَدلولِ[٧]، لكِنْ بِإجراءِ شَيءٍ مِن التَّطويرِ عليهِ؛ إذ نَصَّتْ على أنَّهُ ((في البِدايَةِ يأتي الانطِباعُ، وبَعدَ ذلكَ يُعَبِّرُ العَقلُ بِالكَلِماتِ– مُستَفيدًا مِن الكَلامِ– عن التَّجرِبَةِ النّاشِئةِ عن الانطِباعِ ... لقد صاغَ الرّواقِيُّونَ ثُنائيَّةَ الصِّيغَةِ والمَعنَى مُمَيِّزِينَ في اللغةِ بينَ الدّالِّ والمَدلولِ ... ولكِن يَبدو أنَّ المَدلولَ لم يَكُنْ صورَةً ذِهنِيَّةً بِشَكلٍ كامِلٍ، بل كانَ شَيئًا مّا في ذِهنِ المتكلِّمِ والمُستَمِعِ يُقابِلُ نُطقًا مُعَيَّنًا في اللغَةِ، وهذا يُشبِهُ إلى حَدٍّ مّا توحيدَ سوسير لِلصَّوتِ والفِكرَةِ عن طريقِ اللغةِ))[٨].

- عَناصِرُ الدَّلالَةِ في العُصورِ الوُسطَى:

حَدَثَ بَعضُ التَّطوُّرِ في مَفهومِ الدَّلالةِ وعناصِرِها في العُصورِ الوُسطَى؛ فبَعدَ أن كانَتْ كِيانًا مُزدَوِجَ البِنيَةِ أَصبَحَت تُعَدُّ كِيانًا ذا أبعادٍ ثَلاثَةٍ، إذ قَرَّرَ السكولاستِيُّونَ أنَّ الكَلِمَةَ تَدُلُّ على الشَّيءِ مِن طريقِ تَوَسُّطِ المَفاهيمِ[٩]. ((وهذا يَعني أنَّ الكلِماتِ لَم تَعُد تَرتَبِطُ بِالأَشياءِ مُباشَرَةً كما كانَ يَرَى القُدَماءُ، إنَّما تَرتَبِطُ بِها بِطريقَةٍ غيرِ مُباشِرَةٍ عن طَريقِ تَوسيطِ المَفهومِ الذي يُستَخلَصُ مِن

الشَّيءِ في العالَمِ الخارِجِيِّ ويَرتَبِطُ بِهِ. وهذا يَعني بِوُضوحٍ أنَّهُ ليسَ ثَمَّةَ اتِّصالٌ مُباشِرٌ بينَ اللغةِ والواقِعِ))[١٠].

– المُكَوِّناتُ الدَّلاليَّةُ عِندَ سوسير:

جَعَلَ فرانك بالمَر المَفهومَ الذي أَتى بِهِ فردينان دي سوسير أَحدَ اتِّجاهَيْنِ لِدِراسَةِ المَعْنَى يَنضَوِيانِ تَحتَ حَقلٍ واحِدٍ سَمّاهُ حَقْلَ التَّصَوُّراتِ Concepts، وهو يُقابِلُ الحَقلَ الآخَرَ الذي سَبَقَ أن ذَكَرْناهُ وهوَ حَقْلُ التَّسمِيَةِ Naming؛ فإذا كانَتْ مُعالَجَةُ المَعنَى في حَقلِ التَّسمِيَةِ تَقومُ على أساسِ رَبْطِ الألفاظِ بِالأَشياءِ على نَحوٍ مُباشِرٍ، كما رأَيْنا عندَ أَفلاطونَ، فإنَّ التَّصَوُّرَ الذِّهنِيَّ هوَ العامِلُ الحاسِمُ في مُعالَجَةِ المَعنَى في حَقلَ التَّصَوُّراتِ[١١].

وقد أعادَ سوسير الاعتِبارَ إلى قُطبَي الدَّلالَةِ الدّالِّ والمَدلولِ؛ ((فالعَلامَةُ الألسُنِيَّةُ عندَهُ هيَ تَداعٍ لِصورَتَيْنِ ذِهنِيَّتَيْنِ، وشَيءٌ سَمعِيٌّ دالٌّ أو اسمٌ، ومَفهومٌ مَدلولٌ أو مَعنًى))[١٢]. فالوَحدَةُ اللغويَّةُ ((كِيانٌ ثُنائيٌّ، كِيانٌ يتألَّفُ مِن الرَّبطِ بينَ عُنصُرَيْنِ ... فالإشارَةُ اللغويَّةُ تَربِطُ بينَ الفِكرةِ والصُّورةِ الصَّوتِيَّةِ، وليسَ بينَ الشَّيءِ والتَّسمِيَةِ ... ولا يُقصَدُ بِالصُّورةِ الصَّوتِيَّةِ النّاحيَةُ الفيزياويَّةُ لِلصَّوتِ بل الصُّورةُ السّايكولوجيَّةُ لِلصَّوتِ، أي الانطِباعُ أو الأَثَرُ الذي تترُكُهُ في الحَواسِّ ... الإشارَةُ اللُغويَّةُ إذَن هيَ كِيانٌ سايكولوجيٌّ لهُ جانِبانِ))[١٣]. فالعَلاقَةُ اللغويَّةُ عندَهُ لا تَربِطُ الشَّيءَ بِالاسمِ كما كانَ يُعتَقَدُ في أزمانٍ مَضَتْ، بل تَربِطُ تَصوُّرًا ذِهنِيًّا بِصورَةٍ صَوتِيَّةٍ، فلَو أَخَذْنا كلمةَ (شَجَرَة) مَثَلاً لَوَجَدْناها تنطَوي على أربَعَةِ مُكَوِّناتٍ، أَوَّلُها: (شَجَرَة) بِمَعنَى الشَّيء في العالَمِ الخارجِيِّ، وثانيها: (شَجَرَة) بِمَعنَى صُورَةِ الشَّيءِ في الذِّهنِ (المَدلول)، وثالِثُها: (شَجَرَة) بِمَعنَى الصُّورَةِ السَّمعِيَّةِ (الدّالّ)، ورابِعُها: (شَجَرَة) بِمَعنَى الصُّورَةِ الصَّوتِيَّةِ المادِّيَّةِ. فالمُكَوِّنانِ الأَوَّلُ والرّابِعُ مادِّيّانِ، فهما لا يَنتَمِيانِ إلى النِّظامِ اللغويِّ المُكَوَّنِ مِن مَجموعِ الانطِباعاتِ العَقليَّةِ؛ فالشَّيءُ يقَعُ في دائرةِ اهتِمامِ عِلمِ النَّباتِ، والصُّورةُ الصَّوتِيَّةُ المادِّيَّةُ يَختَصُّ بِمُتابَعتِها عِلمُ وَظائفِ الأعضاءِ، فلَم يَبقَ في دائرةِ اهتِمامِ اللِسانيِّ إلاّ المُكَوِّنانِ الثّاني والثّالثُ[١٤].

– نُضْجُ النَّظَرِيَّةِ الإحالِيَّةِ عندَ أوغدِن ورِتشاردز:

تُمَثِّلُ مُعالَجَةُ المَعنَى عندَ أوغدِن ورِتشاردز الاتِّجاهَ الثّانيَ مِن اتِّجاهَي دِراسَةِ المَعْنَى المُنضَوِيَيْنِ في الحَقلِ الذي سَمّاهُ فرانك بالمَر حَقلَ التَّصَوُّراتِ Concepts، أمّا الاتِّجاهُ الأَوَّلُ فتُمَثِّلُهُ نَظريَّةُ سوسير المذكورَةُ آنِفًا. وأطلَقَ بالمَر اسمَ (نظريَّة العَلامَة sign theory) على ما جاءَ بِهِ سوسير، واسمَ (المُثَلَّث السِّيميائيّ semiotic triangle) على ما أَتَى بِهِ أوغدِن ورِتشاردز[١٥]،

ودَعَاهُ جون لاينز (مُثَلَّثَ الدَّلالَة the triangle of signification)[١٦]، في حينِ سَمَّاهُ ستيفِن أُولمان المُثَلَّث الأَساسِيّ (basic triangle)[١٧]. والجامِعُ بينَ النَّظَرِيَّتَيْنِ أنَّ التَّصوُّرَ الذِّهنيَّ حاسِمٌ في مُعالَجَةِ المَعنَى فيهِما، لكِن بَعدَ أن كانَتِ الدَّلالَةُ عندَ سوسير كِيانًا ذا مُكَوِّنَيْنِ، هُما: الفِكرةُ والصُّورةُ الصَّوتِيَّةُ، أَصبَحَتْ عندَ أوغدِن ورِتشاردز كِيانًا ذا أَبعادٍ ثَلاثَةٍ[١٨]؛ أَوَّلُها: الرَّمزُ symbol، ((وهوَ في حالتِنا هذهِ عِبارَةٌ عن الكلماتِ المنطوقةِ المُكَوَّنَةِ من سِلسِلةٍ مِن الأصواتِ المُرَتَّبَةِ تَرتيبًا مُعَيَّنًا، ككلمةِ (مِنضَدَة) مَثَلاً))[١٩]؛ وثانيها: الفِكرَةُ أو الإحالَةُ reference، التي تَحضُرُ في ذِهنِ السّامعِ حينَما يَسمَعُ كلمةَ (مِنضَدَة). ((وهذا المُحتَوَى العَقليُّ قد يَكونُ صُورَةً بَصَريَّةً، أو صُورةً مَهزوزةً، أو حتّى مُجَرَّدَ عمليَّةٍ مِن عمليّاتِ الرَّبطِ الذِّهنيِّ، طِبقًا لِلحالةِ المُعَيَّنَةِ))[٢٠]؛ وثالِثُها المَرجِعُ referent، أي ((الشَّيءُ نَفسُهُ الذي ارتبَطَ ذِهنِيًّا بِشَيءٍ آخَرَ))[٢١]. والمُثَلَّثُ الآتي يُوضِحُ هذهِ المُكَوِّناتِ والعَلاقاتِ التي تَربِطُ بينَها:

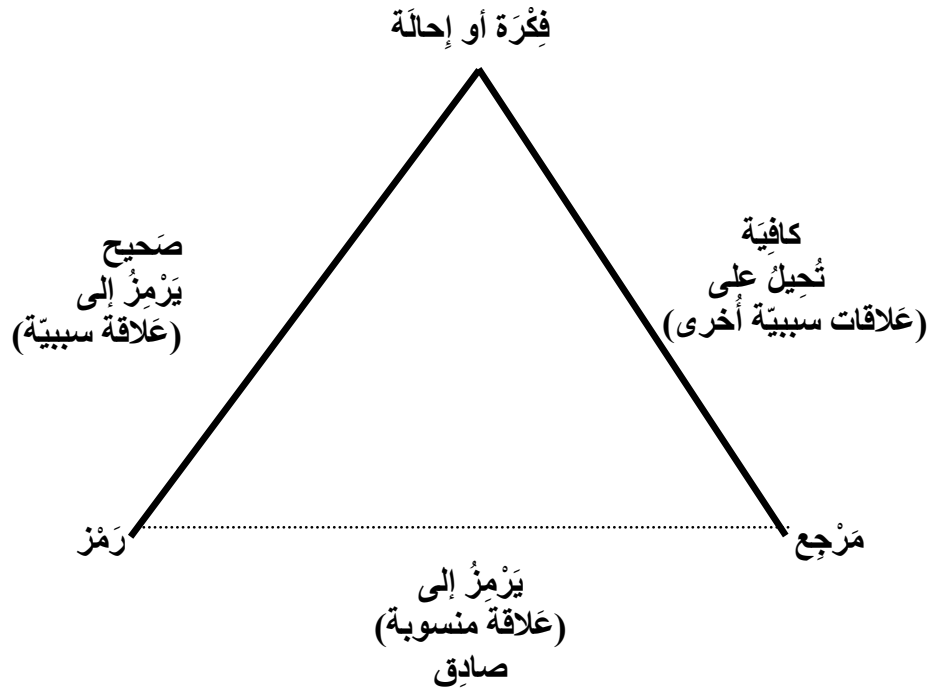

فَالرَّمزُ في هذا المثَلَّثِ هوَ ما يُسَمَّى بهِ الشَّيءُ، أي الشَّكلُ المنطوقُ أو المكتوبُ لِلكلِمةِ. والإحالةُ هيَ ما يَنقُلُهُ الشَّكلُ المكتوبُ أو المنطوقُ لِلكلِمةِ مِن مَعلوماتٍ إلى القارئِ أو السّامعِ. والمَرجِعُ هو الشَّيءُ، أي المَوضوعُ الذي نتحدَّثُ عنهُ[٢٢].

ويبتدِئُ أوغدِن ورِتشاردز كلامَهُما على المُثَلَّثِ بِتنبيهِهما على نُقطَةٍ فيهِ يَرَيانِها قُطبَ الرَّحَى في ما جاءا بِهِ مِن نظريَّةٍ دلاليَّةٍ يُصَوِّرُها مُثَلَّثُهما الذائعُ الصِّيتِ، تِلكُم النُّقطةُ هيَ أنَّ ((عَدَمَ المباشَرَةِ في العَلاقاتِ بينَ الكَلِماتِ والأَشياءِ هو الملمَحُ الَّذي يَستَحِقُّ الانتِباهَ أَوَّلاً))[٢٣]، أي ((إنَّ

قاعِدَةَ المثَلَّثِ تَكونُ ... مُختلِفةً جِدًّا في تَركيبِها عن كُلٍّ مِن الضِّلعَيْنِ الآخَرَيْنِ. فالعَلاقاتُ بَيْنَ الفِكرةِ والرَّمزِ تكونُ سَبَبِيَّةً. فالرَّمزُ الذي نَستعمِلُهُ حينَ نتكلَّمُ تُسَبِّبُهُ جُزْئيًّا الإحالةُ الَّتي نُنشِئُها، وجُزْئيًّا العَوامِلُ الاجتِماعيَّةُ والنَّفسِيَّةُ ... حينَ نَسمَعُ ما يُقالُ تُسَبِّبُ الرُّموزُ لنا أَمرَيْنِ، أَحدُهما أَداءُ فِعلٍ إحالِيٍّ، والآخَرُ اتِّخاذُ مَوقِفٍ يَكادُ يَكونُ، استِنادًا إلى الظُّروفِ، مُشابِهًا لِفِعلِ المتَكَلِّمِ ومَوقِفِهِ. وثَمَّةَ عَلاقَةٌ أيضًا بَينَ الفِكرةِ thought والمَرجِعِ referent مُباشِرَةٌ تَقريبًا (كما في حالةِ تَفكيرِنا في سَطحٍ مُلَوَّنٍ نَرَاهُ أَو شُهودِنا لـه)، أَو غيرُ مُباشِرَةٍ (كما في حالةِ 'تَفكيرِنا' بِنابوليون أَو 'إحالَتِنا' عليه، وفي هذه الحالةِ قد تَكونُ هُناكَ سِلسِلةٌ طَويلةٌ جِدًّا مِن الأَحوالِ العَلامِيَّةِ الَّتي تَتَخلَّلُ بينَ الفِعلِ ومَرْجِعِهِ، نحوِ: كَلِمةٍ– تَأريخِيٍّ– سِجِلٍّ مُعاصِرٍ– شاهِدِ عِيانٍ– مَرجِعٍ (نابوليون). أمّا بينَ الرَّمزِ symbol والمَرجِعِ referent فلا تُوجَدُ عَلاقَةٌ ذاتُ صِلَةٍ سِوَى العَلاقَةِ غيرِ المباشِرةِ الَّتي تَكمُنُ في أَنَّ شَخصًا مّا يَستَعمِلُها لِتَمثيلِ مَرْجِعٍ مّا. أَي إنَّ الرَّمزَ والمَرجِعَ غيرُ مُرتَبِطَيْنِ ارتِباطًا مُباشِرًا (وحينَ نَستَعمِلُ ضِمنِيًّا مِثلَ هذه العَلاقَةِ لأَسبابٍ نَحوِيَّةٍ لَن تكونَ إلاّ عَلاقَةً مَنسُوبَةً بِإزاءِ العَلاقَةِ الحقيقيَّةِ)، وإنَّما ارتِباطُهما غيرُ مُباشِرٍ حَولَ ضِلعَي المثَلَّثِ))[٢٤].

فاستِنادًا إلى ما مَضَى يُصَنِّفُ الدّارِسونَ العَلاقاتِ بينَ مُكَوِّناتِ مُثَلَّثِ أوغدِن ورِتشاردز إلى ثَلاثِ عَلاقاتٍ ثُنائيَّةٍ، اثنتانِ منهما أساسيَّتانِ والثالثةُ ثانويَّةٌ [٢٥]. فأمّا العَلاقتانِ الأساسيَّتانِ فَعَلاقةُ الفِكرةِ بِالرَّمزِ وعَلاقَةُ الفِكرَةِ بالمَرجِعِ، وأمّا العَلاقةُ الثّانويَّةُ فعَلاقَةُ الرَّمزِ بِالمَرجِعِ؛ ذلكَ بِأَنَّهما لا يرتَبِطُ أَحَدُهُما بِالآخَرِ على نحوٍ مُباشِرٍ، بل يَرتَبِطانِ بِتوسُّطِ الفِكرَةِ بينَهما، أي إنَّ الرَّمزَ يَدُلُّ على الفِكرةِ، ثُمَّ تَدُلُّ الفِكرةُ على المَرجِعِ[٢٦].

لكِنْ إلى أَيِّ حَدٍّ يُمكِنُ قَبولُ مِثلِ هذا التَّصنيفِ؟ الحَقُّ أَنَّهُ يُمكِنُ إمرارُهُ لأغراضِ التَّبسيطِ وتَقريبِ وِجهَةِ النَّظَرِ، أمّا في المُهِمَّةِ التي نحنُ بِصددِها، أعني الحديثَ المُفَصَّلَ عن جَوانبِ النَّظريَّةِ كافَّةً والكَشفَ عمّا وَقَعَ فيهِ الدّارِسونَ مِن أَوهامٍ بِشأنِها، فلا يُمكِنُ الرُّكونُ إلى الحديثِ المُجمَلِ الذي قد يَنطَوي على مَواطِنَ تُسَبِّبُ ما تُسَبِّبُ مِن زَلَلٍ في الفَهمِ وخَطَلٍ في التَّقويمِ.

فَلَو أَنعَمْنا النَّظَرَ في النَّصِّ المذكورِ آنِفًا الذي شَرَحَ فيهِ مُؤَسِّسَا النَّظريَّةِ ما يَعنِيانِهِ بِكُلِّ ما جاءَ في مُثَلَّثِهما الدَّلالِيِّ مِن مُكَوِّناتٍ وعَلاقاتٍ رابِطَةٍ بينَها، لَوَقَفْنا على حقيقةٍ لَم يَقِفْ عندَها الكثيرونَ مِمَّن عَرَضوا للنَّظريَّةِ ومُثَلَّثِها، هيَ أَنَّ أوغدِن ورِتشاردز قد نصَّا على وُجودِ ثَلاثِ عَلاقاتٍ مُتَفاوِتَةٍ في دَرَجَةِ مُباشَرَتِها؛ ذلكَ بِأَنَّهُما قَرَّرا أَنَّ العَلاقَةَ الرّابِطَةَ بينَ المُكَوِّنَيْنِ الواقِعَيْنِ في طَرَفَي الضِّلعِ الأَيسَرِ لِلمُثَلَّثِ، أي بينَ الفِكرةِ والرَّمزِ، عَلاقَةٌ سَبَبِيَّةٌ مُباشِرَةٌ؛ إذ يَشتَرِكُ في إنشاءِ الرَّمزِ كُلٌّ مِن المدلولِ الَّذي نُنشِئُهُ والعَوامِلِ الاجتِماعيَّةِ والنَّفسِيَّةِ، ثُمَّ إنَّ الرُّموزَ تُحدِثُ فينا أَمرَيْنِ، أَحدُهما أَداءُ فِعلٍ تَفكيريٍّ، والآخَرُ اتِّخاذُ مَوقِفٍ مُشابِهٍ لِفِعلِ المتَكَلِّمِ ومَوقِفِهِ. أي إنَّ العَلاقَةَ بينَ الرَّمزِ والفِكرَةِ جَدَليَّةٌ حَيَّةٌ؛ فهيَ تُسَبِّبُ الرَّمزَ، وهوَ يُسَبِّبُها.

أمّا العَلاقَةُ الرّابِطَةُ بينَ المُكَوِّنَيْنِ الواقِعَيْنِ في طَرَفَي الضِّلعِ الأَيمَنِ لِلمُثَلَّثِ، أي بينَ الفِكرةِ والمَرجِعِ فَلَها اعتِباران؛ فهيَ مُباشِرَةٌ بِاعتِبارٍ وغيرُ مُباشِرَةٍ بِاعتِبارٍ آخَرَ. فأمّا وَجهُ مُباشَرَتِها فقد مَثَّلَ لَهُ صاحِبَا النَّظريَّةِ بِحالةِ تَفكيرِنا بِسَطحٍ مُلَوَّنٍ نَرَاهُ، أي إنَّ المَرجِعَ يَكونُ حاضِرًا غيرَ غائبٍ، وأمّا وَجهُ عَدَمِ مُباشَرَتِها فَما مَثَّلا لَهُ بِحالةِ تَفكيرِنا في نابوليون التي قد تَصحَبُها سِلسِلةٌ طَويلةٌ جِدًّا مِن الأحوالِ العَلامِيَّةِ، نحوِ: كَلِمةٍ– تَأريخِيٍّ– سِجِلٍّ مُعاصِرٍ– شاهِدِ عِيانٍ– مَرجِعٍ (نابوليون).

وأمّا العَلاقَةُ الرّابِطَةُ بينَ المُكَوِّنَيْنِ الواقِعَيْنِ في قاعِدَةِ المُثَلَّثِ، أي بينَ الرَّمزِ والمَرجِعِ، فقد نَصَّ الرَّجُلانِ على أنَّها غيرُ مُباشِرَةٍ.

نستَخلِصُ مِمّا مَضَى أنَّ العَلاقَةَ الوحيدَةَ التي هيَ مُباشِرَةٌ خالِصَةٌ مِن بَينِ العَلاقاتِ الثَّلاثِ الدّائِرَةِ حَولَ أضلاعِ المُثَلَّثِ هي الرّابِطةُ بينَ الفِكرَةِ والرَّمزِ في الطَّرَفِ الأَيسَرِ مِن المُثَلَّثِ، بِخِلافِ ما يَتَداوَلُهُ الدّارِسونَ ويَشيعُ بينَهُم مِن أنَّ العَلاقَةَ الرّابِطةَ بينَ الفِكرَةِ والمَرجِعِ في ضِلعِ المُثَلَّثِ الأَيمَنِ مُباشِرَةٌ خالِصَةٌ أيضًا. ولَعَلَّ في ما بَيَّنّاهُ مِن عَدَمِ مُباشَرَتِها ما يُسَلِّطُ مَزيدًا مِن الضَّوءِ على ما رَجَّحَهُ ستيفِن أُولمان مِن بَعدُ مِن الاقتِصارِ على ضِلعِ المُثَلَّثِ الأَيسَرِ في تَحليلِ المَعنَى، مُعَلِّلاً هذا الفِعلَ بِأنَّ التَّعريفَ الوَظيفيَّ لِلمَعنَى إنَّما يَنحَصِرُ في الجانِبِ الأَيسَرِ مِن المُخَطَّطِ، بِوَصفِهِ الجانِبَ الوَحيدَ الذي تَرتَبِطُ فيهِ العناصِرُ اللغويَّةُ على نَحوٍ مُباشِرٍ[٢٧]، وفي المَبحَثِ الثّاني مَزيدُ بَسطٍ وتفصيلٍ لِوِجهَةِ نظرِ أُولمان هذهِ.

المَبْحَثُ الثّاني/ النَّقْدُ اللِسانِيُّ الغَرْبِيُّ لِلنَّظَرِيَّةِ الإحالِيَّةِ:

سَبَقَ أن ذَكَرْتُ في مُقَدِّمَةِ هذا البَحثِ أنَّ نَقدَ النَّظَرِيّاتِ ومُراجَعَةَ المَفاهيمِ مَعلَمٌ بارِزٌ مِن مَعالِمِ النَّشاطِ اللِسانيِّ الغَربيِّ، فلَم يَكُ مُستَغرَبًا أن تُثارَ حَرَكَةٌ نَقدِيَّةٌ واسِعَةٌ بِشَأنِ نَظَرِيَّةِ المُثَلَّثِ الدَّلاليِّ مُنذُ أن أَصدَرَ أوغدِن ورِتشاردز كِتابَهُما (مَعْنَى المَعنَى The Meaning of Meaning) سَنَةَ ١٩٢٣م، ولم تَفقِدْ هذهِ الحركةُ فاعِلِيَّتَها إلى يَومِنا هذا.

ولَعَلَّ مِن الدَّواعي الرَّئيسةِ التي استَفَزَّت الأوساطَ اللسانيَّةَ في الغَربِ لِنَقدِ ما جاءَ بِهِ أوغدِن ورِتشاردز أنَّهُما أعلَنا في مُفتَتَحِ كِتابِهما مُؤاخَذَتَهُما سوسير بِإغفالِهِ التّامِّ لِلأَشياءِ الَّتي تُمَثِّلُها الكَلِماتُ، وقَرَّرا، استِنادًا إلى ذلكَ، أنَّ نَظَرِيَّتَهُ لِلعَلاماتِ كانَتْ، لِسُوءِ الحظِّ، مَبتوتَةَ الصِّلَةِ مُنذُ البِدايَةِ بِكُلِّ ما يَمُتُّ بِسببٍ إلى مَناهِجِ التَّحقيقِ العِلميَّةِ. لكِنَّهُما عادَا فذَكَرا أنَّهُ لا يَبدو أنَّ سوسير قد تابَعَ المسأَلةَ بَعيدًا إلى الحدِّ الَّذي يَجعَلُ هذا الخَلَلَ واضِحًا[٢٨].

وبِاستِقراءِ الانتِقاداتِ التي وُجِّهَتْ إلى النَّظَرِيَّةِ وُجِدَ أنَّها يُمكِنُ تَصنيفُها إلى مَجموعَتَيْنِ من الانتِقاداتِ تُمَثِّلانِ اتِّجاهَيْنِ؛ فالمجموعَةُ الأُولَى تُمَثِّلُ اتِّجاهَ نَقدِ الأَساسِ الذي قامَتْ عليهِ النَّظَرِيَّةُ، وهوَ اختِيارُ ثَلاثَةِ مُكَوِّناتٍ دَلاليَّةٍ لِلتَّعبيرِ عن المَعنَى؛ والمجموعةُ الثّانيةُ تُمَثِّلُ اتِّجاهَ نَقدِ بعضِ

جُزئيّاتِ هذهِ النَّظريَّةِ، مِن نَحوِ افتِقارِها إلى تَعريفٍ دَقيقٍ لِلمَدلولِ، وأنَّها تَتَعامَلُ معَ الأَشياءِ المادِّيَّةِ الملموسَةِ دونَ المَعنَوِيّاتِ غيرِ المُحَسَّةِ، وعَدَمِ تطرُّقِها إلى مَعاني أَدَواتِ الرَّبطِ.

فأمّا اتِّجاهُ النَّقدِ الأَوَّلُ فأبرزُ مَن ألفَيْتُهُ يَقِفُ وقفَةً مُتأنِّيَةً في مُناقَشَةِ مُكَوِّناتِ نَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز هوَ ستيفِن أُولمان. وقَبلَ أن أُفَصِّلَ القولَ في وِجهَةِ نظرِهِ أَوَدُّ أن أُنَبِّهَ على أَنَّهُ في مُناقَشَتِهِ لأُسُسِ النَّظريَّةِ لم يَظهَرْ بِمَظهَرِ المُؤاخِذِ الرّافِضِ بَل ظَهَرَ بِمَظهَرِ المُطَوِّرِ المُستَدرِكِ، بل إنَّهُ صَرَّحَ منذُ بَدْءِ مُناقَشَتِهِ بإعجابِهِ بالنَّظريَّةِ وبأَنَّهُ إنَّما يَسيرُ في رِكابِها، غيرَ أنَّ ما هوَ بِصَدَدِ فِعلِهِ هو تَبسيطُ المَنهَجِ ومَنظومَةِ مُصطَلَحاتِهِ وتَعديلُهُما على وَفقِ حاجَةِ البَحثِ[٢٩].

وتتلخَّصُ وِجهَةُ نَظَرِ أُولمان في اختِيارِهِ التَّخلُّصَ مِن الشَّيءِ (المَرجِع) نِهائيًّا؛ إذ يَرَى أنَّ دارِسَ اللغةِ إنَّما تُهِمُّهُ الكَلِماتُ لا الأَشياءُ؛ فما الشَّيءُ إلاّ المَلمَحُ أو الحَدَثُ غيرُ اللغَويِّ الذي نتحدَّثُ عنهُ، ولا شَكَّ في أنَّ هذا مِمّا لا يتناوَلُهُ اهتِمامُ اللغويِّ. ثُمَّ إنَّهُ لا عَلاقَةَ مُباشِرَةً بينَ الكَلِماتِ والأَشياءِ كما قد أَوضَحَ أوغدِن ورِتشاردز في مُثَلَّثِهِما، أمّا العَلاقَةُ الوَحيدَةُ التي يَرتَبِطُ بِها الشَّيءُ بِأيِّ طَرَفٍ آخَرَ فهيَ الرّابِطةُ بينَهُ وبينَ الفِكرَةِ، لكِنَّ دِراسَةَ هذهِ العَلاقَةِ مِمّا يَخُصُّ عالِمَ النَّفسِ أو الفَيلسوفِ ولا يَقَعُ في دائرةِ اهتِمامِ اللغَويِّ. لِذلكَ يَرَى أُولمان أنَّ كُلَّ ما بِوِسعِ اللغويِّ فِعلُهُ هو جَعْلُ بُؤرَةِ اهتِمامِهِ ضِلعَ المُثَلَّثِ الأَيسَرَ، أي الخَطَّ الرّابِطَ بينَ الرَّمزِ والفِكرَةِ[٣٠].

وعلى الرَّغمِ مِمّا ذَكَرْناهُ مِن أنَّ أُولمان لم يُحاوِل الظُّهورَ بِمَظهَرِ مَن يَعرِضُ لِجَوهَرِ النَّظريَّةِ نَراهُ يُشيرُ إلى جانِبٍ رأَى فيهِ قُصورًا فيها. وحاصِلُ كَلامِهِ أنَّ الأُنموذَجَ الذي قَدَّمَهُ أوغدِن ورِتشاردز إنَّما يَصِفُ كيفيَّةَ تأثيرِ الكلمةِ في السّامِعِ، أمّا المُتكلِّمُ فيَبدو أنَّهُ يُغْفِلُ وِجهةَ نظرِهِ. فسِلسِلةُ الأحداثِ عندَ السّامِعِ يَعرِضُها المُثَلَّثُ الأساسِيُّ على النَّحوِ الآتي: عندَ سَماعِهِ كلمةً، لِتَكُنْ كلمَةَ (باب) مَثَلاً، يَبدأُ بِالتَّفكيرِ بِبابٍ، وبِذلكَ يَفهَمُ ما يَقولُهُ المُتكلِّمُ. أمّا السِّلسِلةُ عندَ المُتكلِّمِ فبِعَكسِ ذلكَ: إذ يَبدَأُ بِالتَّفكيرِ بِبابٍ لِسببٍ أو لآخَرَ، فَيُؤَدِّي بِهِ هذا إلى التَّلفُّظِ بِالكلِمةِ المُعَبِّرَةِ عنهُ. فثَمَّةَ عَلاقَةٌ تَبادُليَّةٌ وتَعاكُسيَّةٌ بينَ الاسمِ والفِكرَةِ: فإن سَمِعْتَ الكَلمةَ فَكَّرْتَ في الشَّيءِ، وإن فَكَّرْتَ في الشَّيءِ نَطَقْتَ بِالكَلمةِ. وهذهِ العَلاقَةُ التَّبادُليَّةُ والتَّعاكُسيَّةُ بينَ الاسمِ والفِكرَةِ هيَ ما اقتَرَحَ أُولمان تَسمِيَتَهُ مَعنَى الكلمةِ[٣١].

ولَسْتُ هُنا في مَقامِ الذَّبِّ عن النَّظريَّةِ والمُنافَحَةِ عنها، فما أنا بِالذي يَصرِفُ بَصَرَهُ عن واضِحِ الخَطَإِ عَصَبِيَّةً وانحِيازًا لِما اختارَ أن يَكتُبَ فيهِ، وإنَّما وُكدي عَرضُ ما لَقِيَتْهُ النَّظريَّةُ في الغَربِ مِن وِجهاتِ نَظرٍ نَقدِيَّةٍ، ثُمَّ غَربَلَةُ هذهِ الوِجهاتِ وبيانُ الحَقيقِ منها بِأن يُوسَمَ بِالعِلميِّ، والجَديرِ بِأن يُطَّرَحَ ويُوسَمَ بِسوءِ الفَهمِ أو الجَورِ في الحُكمِ.

فإذا ما تَأَمَّلْنا نَقدَ أُولمان وَجدْناهُ ينطَوي على اعتِراضَيْنِ جَديرَيْنِ بالنَّظَرِ فيهِما، أَحدُهُما أنَّ النَّظريَّةَ إنَّما تَصرِفُ اهتِمامَها إلى السّامِعِ، أمّا المُتكلِّمُ فليسَ لَهُ مَكانٌ فيها. والحَقُّ أنِّي وَقَفْتُ أمامَ

هذا الاعتِراضِ وقفةً ليستَ بِالقَصيرَةِ؛ ذلكَ بِأنَّ ما فَهِمْتُهُ مِن صَريحِ كلامِ مُؤَسِّسَي النَّظَريَّةِ لا يُؤَدِّي إلى هذهِ النَّتيجَةِ، بل يَقودُ إلى ما يُضادُّها تَمامًا، فلو عُدْنا إلى النَّصِّ المُؤَصِّلِ الذي شَرَحَ بِهِ أوغدِن ورِتشاردز مُثَلَّثَهُما الدَّلاليَّ لَوَجَدْناهُما يَنُصّانِ فيهِ على سَيرورةِ المَعنَى عندَ المُتَكَلِّمِ قبلَ السّامِعِ بِما لا يَدَعُ مَجالاً لِلشَّكِّ في اهتِمامِهما بِهِ؛ إذ قَرَّرَا أنَّ الكلِمَةَ التي نَتكَلَّمُ بِها مُسَبَّبَةٌ جُزئيًّا عن الفِكرةِ التي نُنشِئُها، وأنّا حينَ نَسمَعُ ما يُقالُ تُسَبِّبُ الكلماتُ لنا أَمرَيْنِ، أَحدُهما الفِكرَةُ، والآخَرُ اتِّخاذُ مَوقِفٍ مُشابِهٍ لِفِعلِ المتَكَلِّمِ ومَوقِفِهِ، بِحَسَبِ مُقتَضَياتِ الأَحوالِ[٣٢]. ولا يَخفَى أنَّ المقصودَ بِما يُشابِهُ فِعلَ المتَكَلِّمِ هوَ التَّكلُّمُ. فلَسْتُ أدري، بَعدُ، كَيفَ يُمكِنُ أن يَكونَ الاهتِمامُ بِالمُتكلِّمِ أكبرَ مِن ذلكَ، كما لا أَعرِفُ الفَرقَ بينَ ما ذَكَرَهُ أُولمان وعَدَّهُ نَقصًا في النَّظريَّةِ، وهوَ بَدْءُ المُتكلِّمِ بِالتَّفكيرِ بِالشَّيءِ لِيَقودَهُ هذا إلى التَّلفُّظِ بِالكلِمةِ، وبينَ ما نُصَّ عليهِ صَراحَةً في الفِقرَةِ المنقولَةِ آنِفًا.

أمّا ما اقتَرَحَهُ أُولمان من الاقتِصارِ في مُكَوِّناتِ المُثَلَّثِ الأساسيِّ على طَرَفَي الضِّلعِ الأيسَرِ منهُ والعَلاقَةِ بينَهُما بِزَعمِ أنَّ ما سِوَى ذلكَ لا يَقَعُ في دائرَةِ اللغةِ، فإنَّ هذا كانَ يُمكِنُ أن يَكونَ مُقنِعًا لَو أنَّ النَّظريَّةَ ساوَتْ بينَ أطرافِ أضلاعِ المُثَلَّثِ مِن جِهَةٍ، وبينَ العَلاقاتِ الرّابِطةِ بينَها مِن جِهَةٍ أُخرَى، لكِنَّ واقِعَ النَّظريَّةِ غيرُ ذلكَ تَمامًا؛ إذ تَدرَّجَت دَرَجاتُ مُباشَرَةِ تلكَ العَلاقاتِ ابتِداءً بالعَلاقَةِ المُباشِرَةِ الخالِصَةِ الوَحيدَةِ وهيَ الرّابطةُ بينَ الرَّمزِ والفِكرةِ، ومُرورًا بالعَلاقَةِ المَشوبَةِ ذاتِ البُعدَيْنِ: المُباشِرِ وغيرِ المُباشِرِ، وهيَ الرّابطةُ بينَ الفِكرةِ والمَرجِعِ، وانتِهاءً بِالعَلاقَةِ غيرِ المُباشِرَةِ، وهيَ الرّابطةُ بينَ الرَّمزِ والمَرجِعِ. فأكسَبَ هذا التَّدرُّجُ الواعي في العَلاقاتِ النَّظريَّةَ مَلمَحًا شُموليًّا استِقصائيًّا لِكلِّ ما مِن شأنِهِ أن يُؤَثِّرَ في سيرورةِ تَكوُّنِ المعنَى، بِما يَضمَنُ عَدَمَ القَفزِ على أيِّ عُنصُرٍ أو عَلاقَةٍ، معَ عَدَمِ إغفالِ الفُروقِ في الأدوارِ ومنزِلَةِ كلٍّ منها في الوَقتِ نَفسِهِ. والطَّريفُ أنَّ أُولمان نَفسَهُ لم يَستَطِعْ، ولَو على مُستَوَى الصِّياغةِ فقط، أن يَتجاوزَ الشَّيءَ (المَرجِعَ) في المنقولِ عنهُ آنِفًا في أثناءِ حديثِهِ عن مُقتَرَحِهِ، وهو قولُهُ إنَّ سَماعَ الكَلمةِ يُؤدِّي إلى التَّفكيرِ في الشَّيءِ، وإن التَّفكيرَ في الشَّيءِ يُؤدِّي إلى التَّكلُّمِ بِالكَلمةِ.

وعَبَّرَ جون لاينز عن حقيقةِ ما جاءَ بِهِ أوغدِن ورِتشاردز بِما يَكشِفُ عن عدَمِ دِقَّةِ اعتِراضَيْ أُولمان السّابِقَيْنِ، وذلكَ بِقولِهِ إنَّ إسهامَ مُؤَسِّسَي النَّظريَّةِ، بِحَسَبِ ما قَدَّماهُ، يتمثَّلُ في دَعواهُما تَحسُّنَ التَّواصُلِ وتَيَسُّرَ وُضوحِ الفِكرِ في حالِ إدراكِ أنَّ العَلاقَةَ بينَ الكَلِمةِ والشَّيءِ ثانويَّةٌ خالِصَةٌ، مَنسُوبَةٌ، غيرُ سَببيَّةٍ[٣٣]، ناشِئةٌ مِن تَرابُطِهِما في ذِهنِ المُتكلِّمِ والسّامِعِ، أو الكاتِبِ والقارِئِ، في أثناءِ التَّواصُلِ[٣٤]. وقد أنصَفَ بيار غيرو أوغدِن ورِتشاردز حينَ قَرَّرَ أنَّ لِمُثَلَّثِهِما الفَضلَ في إعادَةِ ضَمِّ الشَّيءِ المُسَمَّى الذي على الرَّغمِ مِن عَدِّهِ خارِجَ نِطاقِ اهتِمامِ اللِسانيّاتِ لا يُمكِنُ أَن يُغْفِلَهُ عالِمُ الدَّلالةِ[٣٥]. وسَوَّغَ كروز إدخالَ الشَّيءِ في تحليلِ المَعنَى بِأنّا ما دُمْنا نَستَعمِلُ اللغةَ لِلتَّعبيرِ عن الأشياءِ في العالَمِ مِن حَولِنا فَمِن الواضحِ أنَّ هُناكَ صِلَةً مّا بينَ الكَلِماتِ والأشياءِ

التي تُستَعمَلُ الكلماتُ لِلدَّلالةِ عليها. ومِن الواضحِ أيضًا أنّا نَمتلكُ مَفاهيمَ أو تصوُّراتٍ عقليَّةً بِشَأنِ الأشياءِ في عالَمِنا، وأنَّ كُلاًّ منها يتَّصِلُ بِكلِماتِ لُغتِنا والأشياءِ أَنْفُسِها[٣٦].

وما تَقَدَّمَ بيانُهُ مِن أهمِّيَّةِ الإضافَةِ التي أَتى بِها مُثَلَّثُ أوغدِن ورِتشاردز، المُتمثِّلَةِ في مُستَوَى العَناصِرِ بِالمَرجِعِ، وفي مُستَوَى العَلاقاتِ بينَ العَناصِرِ بتَفصيلِ دَرَجَةِ المُباشَرَةِ في هذهِ العَلاقاتِ، كفيلٌ بِرَدِّ اعتِراضِ كلود جرمان وريمون لوبلون اللذَيْنِ أَقَرَّا بِأنَّ المُثَلَّثَ الدَّلاليَّ ((حَمَلَ بعضَ الدِّقَّةِ مِن جِهةِ العَلاقَةِ بينَ المَفهومِ والشَّيءِ))[٣٧]، لكِنَّهُما عادَا فآخَذاهُ بِأَنَّهُ ((لَم يُضِفْ شَيئًا على صِياغَةِ دي سوسير في مَجالِ المدلولِ نَفسِهِ، ولم يُقَدِّمْ إلى الدَّلالَةِ اللسانيَّةِ أيَّةَ قيمةٍ إضافيَّةٍ))[٣٨]، فلا داعِيَ إلى مَزيدٍ مِن القَولِ في رَدِّهِ.

ويُؤاخِذُ فرانك بالمَر، ويُشايِعُهُ آخَرونَ في ذلكَ، اتِّجاهَ دِراسةِ المعنَى المُعتَمِدَ على التَّصوُّراتِ عُمومًا واتِّجاهَ أوغدِن ورِتشاردز خُصوصًا بِغُموضِ مسأَلةِ الارتِباطِ بينَ الرَّمزِ والفِكرةِ[٣٩].

والحَقُّ أنَّ هذهِ المسألةَ لم تَغِبْ عن ذِهنِ مُؤَسِّسَي النَّظريَّةِ، فلِذا حاوَلا إيجادَ آلِيّاتٍ تُسهِمُ في إزالةِ الغُموضِ الذي يَصْحَبُ في العادةِ مُصطَلَحَ الفِكرةِ أو المَفهومِ أو المَدلولِ أَو الإحالَةِ. وإحدَى هذهِ الآليّاتِ تَتمثَّلُ في العَلاقاتِ المُتَنَوِّعَةِ بينَ أطرافِ المُثَلَّثِ الثَّلاثةِ، تلكَ العَلاقاتِ المُشتَمِلَةِ على الانفِعالاتِ والمَواقِفِ المُصاحِبَةِ، وآلِيَّةٌ أُخرَى تتمَثَّلُ في (التَّعريفِ definition) الذي عَوَّلَ عليهِ أوغدِن ورِتشاردز كثيرًا في سَدِّ النَّقصِ المُسَبَّبِ عن غُموضِ المَدلولِ أَو ما سَمَّياهُ الإحالَةَ reference، حتَّى إنَّهما خَصَّصَا لَهُ وِلِلتَّعريفِ بِآلِيّاتِهِ فَصلاً كامِلاً مِن فُصولِ كِتابِهِما العشرَةِ. وفي هذا السِّياقِ يَنتَقِدُ مُؤسِّسَا النَّظريَّةِ إغفالَ بيئةِ المتحدِّثِ الملموسةِ والاكتِفاءَ بِالالتِفاتِ إلى 'الأَفكارِ' الَّتي يُنظَرُ إليها بِوَصفِها 'مُعَبَّرًا عنها'. ويُؤَكِّدانِ صُعوبَةَ الوُصولِ إلى الأَفكارِ على مَن يَطلُبُها مِن الخارِجِ، وأنَّ بِنا حاجَةً إلى نَظَريَّةٍ تَربطُ الكَلِماتِ بِالأَشياءِ عبرَ الأَفكارِ الَّتي، إن وُجِدَتْ، تَرمِزُ إليها، أَي إنَّ الأَمرَ يتطلَّبُ تَحليلاتٍ مُنفصِلَةً لِعَلاقاتِ الكَلِماتِ بِالأَفكارِ ولِعَلاقاتِ الأَفكارِ بِالأَشياءِ. وفَوقَ ذلكَ، بِحَسَبِ ما يَرَى أوغدِن ورِتشاردز، فإنَّ القِسمَ الأَعظَمَ مِن اللغةِ، ولا سِيَّما اللغةُ البِدائيَّةُ، لا يُعنَى ابتِداءً بِالأَفكارِ البَتَّةَ، إلاّ إذا ضُمِّنَتِ 'الأَفكارُ' الانفِعالاتِ والمواقِفَ[٤٠].

ويُبَيِّنانِ في مَوضِعٍ آخَرَ أَهَمِّيَّةَ الأَدوارِ التي تُؤدِّيها المَواقِفُ المُصاحِبَةُ والتَّعريفاتُ، فيقولانِ: ((ما دُمْنا غيرَ قادِرِينَ على مُلاحَظَةِ الإحالاتِ مُباشَرَةً فعلَيْنا دِراسَتُها مِن خِلالِ العَلاماتِ، إمّا مِن خِلالِ المَشاعِرِ المُصاحِبَةِ وإمّا مِن خِلالِ الرُّموزِ. والمَشاعِرُ، على ما هوَ واضِحٌ، غيرُ كافيَةٍ، والرُّموزُ تُقَدِّمُ دَلالَةً أشَدَّ حَسّاسيَّةً بِكثيرٍ. على أنَّ الرُّموزَ تُضَلِّلُ أيضًا، فينبَغي ابتِكارُ طَريقَةٍ مّا لِلضَّبطِ، ومِن هُنا تأتي أهمِّيَّةُ التَّعريفِ. وحَيثُما كانَ ثَمَّةَ سَبَبٌ لِلاعتِمادِ على القُوَّةِ الدَّلاليَّةِ لِلرُّموزِ

فلا شَكَّ في أنَّ اللُّغَةَ المُجَرَّدَةَ مِن كُلِّ الأساليبِ البَديلةِ ستكونُ مَرغوبًا فيها عِلميًّا. لكِنْ في مُعظَمِ الأُمورِ لا تُمكِنُ السَّيطرةُ على ما يُمكِنُ مِن غَدرِ الكَلماتِ إلاّ بِالتَّعريفاتِ))[٤١].

أمّا مجموعةُ النَّقدِ الثّانيةُ فأَهَمُّ ما وَقَفْتُ عليهِ مِن الاعتِراضاتِ التَّفصيليَّةِ التي اشتَمَلَتْ عليها هوَ:

١. افتِقارُ النَّظريَّةِ إلى تَعريفٍ دَقيقٍ لِلمَدلولِ:

مِمَّن آخَذَ النَّظريَّةَ الإشاريَّةَ بِذلكَ كلود جرمان وريمون لوبلون، إذ قالا: ((لَمّا يَستَطِعْ أيُّ أَحَدٍ مِمَّن اعتَمدوا على التَّصوُّرِ الثُّلاثيِّ لِلعَلامَةِ اللسانيَّةِ (دالٌّ– مَدلولٌ– مَرْجِعٌ) أن يتوصَّلَ إلى تَعريفٍ لِسانيٍّ دَقيقٍ لِلمَدلولِ))[٤٢].

وليسَ بِوُسعِي الجَزمُ بِأنَّ ما قَدَّمَهُ صاحِبَا النَّظريَّةِ يُمَثِّلُ تَعريفًا لِسانيًّا دَقيقًا لِلمدلولِ، فالحُكمُ بِذلكَ مَسألةٌ نِسبيَّةٌ قد تكونُ مَوضِعَ نِزاعٍ، ولا سِيَّما أنَّ الدِّقَّةَ في التَّعريفِ قد تَكونُ مِن خَصائصِ العُلومِ التَّطبيقيَّةِ التي تتعامَلُ في مُعظَمِ مَفاصِلِها معَ حَقائقَ قابِلَةٍ لِلتَّجريبِ والمُلاحَظَةِ المُباشِرَةِ. غيرَ أنَّهُ يُمكِنُني تأكيدُ أنَّ أوغدِن ورِتشاردز قد خَرَجَا بِتَعريفٍ ذي عَناصِرَ مُحَدَّدَةٍ وعَلاقاتٍ رابِطَةٍ واضِحةِ المَعالِمِ، وظَنِّي أنَّ هذا يُحَقِّقُ مُستَوًى مَقبولاً مِن الكِفايَةِ في ظِلِّ ما يَلُفُّ الكثيرَ مِن نَظريّاتِ المعنَى مِن غُموضٍ بِهذا الشَّأنِ، إذ يُعَرِّفانِ الإحالَةَ، وهيَ التَّسمِيَةُ التي اختاراها لِلمَدلولِ، بِأنَّها ((مَجموعةٌ مِن السِّياقاتِ الخارجيَّةِ والسّايكولوجيَّةِ التي تَصِلُ العَمليَّةَ الذِّهنيَّةَ بِالمَرجِعِ. فلِذا لا يُحتَمَلُ البَتَّةَ وُجودُ إحالتَيْنِ مُتشابِهَتَيْنِ تَمامًا))[٤٣]. ويَزيدانِ هذا التَّعريفَ وُضوحًا في مَوضِعٍ آخَرَ بِقولِهِما: ((ثَمَّةَ نُقطةٌ أُخرَى يَجِبُ إيضاحُها تتعلَّقُ بِالمَنحَى الذي على وَفقِهِ يُمكِنُ تَرَكُّبُ الإحالاتِ؛ فالحديثُ عن إحالةٍ مّا يَعني الحديثَ عن السِّياقاتِ السّايكولوجيَّةِ والخارجيَّةِ التي تَصِلُ العَلامَةَ بِمَرجِعِها. وبِذلكَ يَكونُ نِقاشُ تَرَكُّبِ الإحالاتِ نِقاشًا لِعَلاقاتِ السِّياقاتِ بِعضِها بِبَعضٍ))[٤٤].

٢. تَعامُلُ النَّظريَّةِ معَ الأَشياءِ المادِّيَّةِ الملموسَةِ دونَ المَعنَويّاتِ غيرِ المُحَسَّةِ، وعَدَمُ تطرُّقِها إلى مَعاني أَدَواتِ الرَّبطِ:

سَجَّلَ النّاقِدُ الأَدَبِيُّ الهِندِيُّ دامودار ذاكور نَقدَهُ لِنظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز بِقَولِهِ: ((إنَّ هذهِ النَّظريَّةَ، شأنُها شأنُ وِجهَةِ النَّظَرِ إلى المَعنَى عندَ قُدامَى الإغريقِ، بِوُسعِها تَسليطُ شَيءٍ مِن الضَّوءِ على مَعنَى الأشياءِ المَلموسَةِ، ولا سِيَّما الأَسماءُ، لكِنَّها لا تُمِدُّنا ولَو بِبَصيصِ نُورٍ في ما يتعلَّقُ بِمَعنَى أَدَواتِ الرَّبطِ نَحوِ: of، و with، و because))[٤٥].

وكَلامُهُ هذا يَنطَوي على مُؤاخَذَتَيْنِ أُخراهُما مُسَبَّبَةٌ عن أُولاهُما؛ فأُولاهُما أنَّ مُعطَياتِ النَّظريَّةِ تُتيحُ الإفادَةَ في ما يتعلَّقُ بِالأشياءِ المَلموسَةِ فَحَسْبُ، وأُخراهُما أنَّها تَفتَقِرُ إلى آليَّةٍ لِلبَحثِ في مَعاني أَدَواتِ الرَّبطِ اللغويَّةِ.

والذي أَراهُ أنَّ هذا النَّقدَ أكثَر ما يَنطَبِقُ على وِجهَةِ النَّظَرِ المُسَمّاةِ (مَذهَبَ التَّسْمِيَةِ Naming) التي أَشَرْتُ إليها آنِفًا؛ ذلكَ بِأنَّ كلمةَ اللسانيِّينَ الغربيِّينَ مُجتمِعَةٌ على أنَّ معنَى الكَلِمةِ في هذا المذهَبِ هو الشَّيءُ المُشارُ إليهِ بِها، فمَعنَى الطّاوِلَةِ table، مَثَلاً، هو الموضوعُ المادِّيُّ لَها. فلِذلكَ كانَتْ هذهِ الوِجهَةُ هَدَفًا لِسِهامِ نَقدٍ كَثيرَةٍ، أهَمُّها اقتِصارُها على الأسماءِ، وإغفالُها كيفيَّةَ التَّعامُلِ معَ مَدلولاتِ الصِّفاتِ نحوِ (حَسَن، وجَميل، إلخ)، والأَفعالِ كالفِعلِ (يَمشي)، وبعضِ أصنافِ الخِطابِ كحروفِ الجَرِّ، وأَدَواتِ الرَّبطِ، إلخ، والكَلِماتِ المُجَرَّدَةِ نحوِ (الحُرِّيَّة)، أو الكَلِماتِ التي ليسَ لَها مَوضوعٌ حقيقيٌّ مُطابِقٌ في الواقِعِ نحوِ (جِنِّيَّة، وساحِرَة، إلخ)[٤٦].

فما اتَّهَمَ بِهِ دامودار ذاكور نَظريَّةَ أوغدِن ورِتشاردز يَجعَلُهُ غيرُهُ مُوَجَّهًا صَوبَ نظريَّةِ التَّسمِيَةِ. واللافِتُ لِلنَّظَرِ أنَّ النّاقِدَ الهِندِيَّ نَفسَهُ كانَ قد سَلَّطَ هذهِ المُؤاخَذَةَ نَفسَها على نَظريَّةِ التَّسمِيَةِ مِن قَبْلُ[٤٧].

وعلى أيَّةِ حالٍ، فالذي رَأَيْتُهُ أنَّ النَّظريَّةَ التي جاءَ بِها الرَّجُلانِ قد تَطرَّقَت تَطرُّقًا واضِحًا إلى المُجَرَّداتِ مِن الكَلِماتِ، مُحاوِلَةً وَضعَ آليَّةٍ واضِحَةٍ لِلتَّعامُلِ مَعَها، وقد قَدَّمَ مُؤَسِّسَا النَّظريَّةِ تَصوُّرًا لِلُّغةِ وعَناصِرِها، الرَّئيسِ منها وغيرِ الرَّئيسِ، يُشَكِّلُ مَدخَلاً لِهذهِ الآلِيَّةِ، ذَهَبَا فيهِ إلى ((أنَّ أفضلَ وَصفٍ لِلُّغَةِ، وإن ذُكِرَتْ كَثيرًا على أنَّها وَسيلةُ تَواصُلٍ، هو أنَّها آلَةٌ، وجَميعُ الآلاتِ ما هيَ إلاّ تَوسيعاتٌ، أو تَهذيباتٌ لأَعضائنا الحِسِّيَّةِ. فالمِقرابُ، والهاتِفُ، والمِجهَرُ، ومُكَبِّرُ الصَّوتِ ... قادِرَةٌ على ... تَقديمِ أعضاءٍ مُلائِمينَ جُدُدٍ إلى سِياقاتِ عَلاماتِنا ... فإذا لم نَستَطِعْ أن نُشيرَ فِعليًّا إلى الدّبّابَةِ التي قتَلْناها أخبَرْنا أصدِقاءَنا عنها أو رَسَمْناها، فَإن أُتيحَتْ لَنا آلَةٌ أفضَلُ قَليلاً مِن اللغةِ قَدَّمْنا صُورَةً فوتوغرافيَّةً لَها. والقِياسُ نَفسُهُ يَصدُقُ على الاستِعمالاتِ الانفِعالِيَّةِ لِلُّغَةِ: فالكَلِماتُ يُمكِنُ استِعمالُها بِوَصفِها هرَاوَى ودَبابيسَ. غيرَ أنَّهُ يَشيعُ في التَّصويرِ الفوتوغرافيِّ أن يُخطِئَ الهُواةُ في تَمييزِ نَتائجِ المُعالَجَةِ مِن سِماتِ الأَشياءِ المُصَوَّرَةِ ... فكذلكَ اللغةُ مَملوءَةٌ بِعَناصِرَ لا وَظيفَةَ تَمثيليَّةً أو رَمزِيَّةً لَها، مَرَدُّها إلى مُعالَجَةِ اللغةِ فَحَسْبُ))[٤٨]. ثُمَّ بيَّنَ أوغدِن ورِتشاردز أنَّ إحدى طَريقَتَيْ حُدوثِ التَّخيُّلاتِ اللغويَّةِ تكونُ بِسُوءِ فَهمٍ لِوظيفةِ ما أَطلَقَا عليهِ اسمَ (المُكَمِّلاتِ الرَّمزِيَّةِ أو اللغويَّةِ)، وهيَ الكَلِماتُ التي سبَقَ أن ذَكَرا أنَّها عَناصِرُ في اللغةِ لا تُؤَدِّي وَظيفَةً رمزِيَّةً، نَحو كَلِمَتَي 'الحُرِّيَّة' و'الحُمْرَة'، حتَّى إنَّ مَن يَستَعمِلُهُما يَفتَرِضُ بِإنشائِهِ إحالَةً على الأفعالِ الحُرَّةِ أو الأشياءِ الحُمرِ أنَّهُ يُحيلُ على شَيءٍ مّا خارِجٍ عن نِطاقِ الزَّمانِ والمَكانِ، على حَدِّ تَعبيرِ أوغدِن ورِتشاردز[٤٩]. على أنَّهُما يَعودانِ فَيُطَمْئِنانِ مُستَعمِلَ مِثلِ هاتَيْنِ الكلمتَيْنِ بِتقريرِهِما أنَّ استِعمالَ

مِثلِ هذهِ المُكَمِّلاتِ اللُغَويَّةِ يُمكِنُ أن يَكونَ غيرَ خَطِرٍ، شَريطَةَ أن تُدرَكَ حَقيقَتُها، أي أن يُدرَكَ أنَّها تَيسيراتٌ في الوَصفِ، لا ضَروراتٌ في بِنيَةِ الأشياءِ[٥٠].

وبَعدَ أن قَدَّمَ مُؤَسِّسَا النَّظريَّةِ بِالمَدخَلِ السّابِقِ شَرَعَا يَسردانِ الآليَّةَ المُقتَرَحَةَ لِلتَّعامُلِ معَ ما أسمَياهُ (المُكَمِّلاتِ اللغويَّةَ)، وهيَ الكَلِماتُ المُعَبِّرَةُ عن المُجَرَّداتِ، فذَكَرَا أنَّ نَحوَ هذهِ الكلماتِ لا يُمكِنُ عَدُّها ذَوَاتِ وَظيفَةٍ رَمزِيَّةٍ، بَل هيَ استِعمالاتٌ لَها مُشتَرَكَةٌ معَ أَشياءَ مُعَيَّنَةٍ، يَنتُجُ مِن مَجموعِها استِعمالٌ يُعَبِّرُ عن مَوقِفٍ انفِعاليٍّ مِن الأشياءِ. ولم يَكتَفِ الرَّجُلانِ بِالتَّنظيرِ لِهذهِ المسألةِ، بل إنَّهما أَتَيا بِمِثالٍ طَبَّقَا عليهِ هذا التَّنظيرَ، فكانَ مِن ذلكَ أن قالا في سِياقِ حَديثِهِما عن مَحاذيرِ تَوسيعِ نِطاقِ أساليبِ التَّعبيرِ العِلميَّةِ لِتَشمَلَ حَقلَ الفَلسَفةِ مَثَلاً: ((مِن هذهِ المَحاذيرِ ظُهورُ كَلِماتٍ، لا يُعرَفُ لَها عَدَدٌ حتَّى الآن، عُدَّتْ خَطَأً ذَوَاتِ وَظيفَةٍ رَمزِيَّةٍ مِن غيرِ أَدنَى شَكٍّ. مِثالُ ذلكَ كَلِمةُ 'حَسَن'. فَمِن المُحتَمَلِ أن تَكونَ هذهِ الكلمةُ في أساسِها مَجموعَةَ مُشتَرَكاتٍ لَفظيَّةٍ عُهِدَ مُنذُ القِدَمِ نُطقُها مُرتَبِطَةً بِمَجموعةِ أشياءَ، على نَحوٍ تَقريبيٍّ، (سَريرٌ حَسَنٌ، رَكلَةٌ حَسَنَةٌ، طِفلٌ حَسَنٌ، إلَهٌ حَسَنٌ) لا صِفَةَ مُشتركَةً بينَها. غيرَ أنَّ ثَمَّةَ استِعمالاً آخَرَ غالِبًا ما يَكونُ ظُهورُهُ مُؤَكَّدًا، يُفتَرَضُ أن يَكونَ بعضُ ما أَورَدْناهُ في الأَقَلِّ مَظاهِرَ تَحلُّلٍ لَهُ، حيثُ يُزعَمُ أنَّ كلمةَ 'حَسَن' تُمَثِّلُ فِكرَةً فَريدَةً غيرَ قابلةٍ لِلتَّحليلِ. ويُقالُ إنَّ هذهِ الفِكرةَ هيَ موضوعُ عِلمِ الأَخلاقِ. ونَحنُ نذهَبُ إلى أنَّ هذا الاستِعمالَ الأَخلاقيَّ المُمَيَّزَ إنَّما هوَ استِعمالٌ عاطِفِيٌّ خالِصٌ. وإذا استُعمِلَت الكَلِمةُ على هذا النَّحوِ فإنَّها لا تُمَثِّلُ شيئًا البَتَّةَ، ولا تكونُ لَها وظيفَةٌ رَمزِيَّةٌ. لِذلكَ، نحنُ حينَ نَستَعمِلُها على هذا النَّحوِ في جُملَةِ 'هذا حَسَنٌ' إنَّما نُحيلُ على هذا، أمّا الزِّيادةُ 'حَسَنٌ' فلا تُحدِثُ فَرقًا في الإحالةِ البَتَّةَ. في حينِ أنّا إذا قُلْنا: 'هذا أحمَرُ' فإنَّ زِيادَةَ 'أَحمَرُ' على 'هذا' تَرمِزُ إلى امتِدادٍ في إحالتِنا، أي إلى شَيءٍ مّا أَحمَرَ آخَرَ. أمّا 'حَسَنٌ' فلَيسَتْ لَهُ وَظيفةٌ رَمزِيَّةٌ مُقارِنَةٌ؛ فهوَ لا يَصلُحُ إلاّ أن يَكونَ عَلامَةً عاطِفيَّةً تُعَبِّرُ عن مَوقِفِنا مِن هذا، ورُبَّما تُثيرُ مَواقِفَ مُشابِهَةً عندَ أشخاصٍ آخَرِينَ، أو تَحُثُّهُم على أفعالٍ مِن نَوعٍ أو آخَرَ))[٥١].

أمّا ما يتعلَّقُ بِعَدَمِ وَضعِ النَّظريَّةِ الإشاريَّةِ آليَّةً لِلتَّعامُلِ معَ مَعاني أَدَواتِ الرَّبطِ، فقد أَوضَحَ أوغدِن ورِتشاردز أنَّهُ على الرَّغمِ مِن أهمِّيَّةِ الأَدواتِ النَّحويَّةِ في الكَلامِ وأنَّها عَناصِرُ بِنائيَّةٌ فيهِ، لا يَقَعُ الحديثُ عنها في دائرةِ اختصاصِ المُشتَغِلِينَ بِالدَّلالةِ وإنَّما تُلقَى مُهِمَّةُ ذلكَ على عاتِقِ النَّحويِّينَ خُصوصًا والمَناطِقَةِ كذلكَ، ونَصُّ كَلامِهِما في ذلكَ هوَ: ((قد تَحوي الرُّموزُ أجزاءً ضروريَّةً، كالنَّفي، وكلماتٍ نَحوِ 'ال'، و'الذي'، وهيَ ليسَ لها في أَنفُسِها مَراجِعُ مُحَدَّدَةٌ. ودِراسةُ نَحوِ هذهِ العناصرِ *البِنائيَّةِ* غيرِ الرَّمزِيَّةِ يَقَعُ على عاتِقِ النَّحوِ. وتَظهَرُ هذهِ اللَمَحاتُ البِنائيَّةُ في اللُغةِ الاعتِياديَّةِ في تَنَوُّعٍ شَكليٍّ مُحيِّرٍ. فالتَّصريفاتُ، والرَّوابِطُ، والمُوَزِّعاتُ، والأفعالُ المُساعِدَةُ، وبَعضُ حُروفِ الجَرِّ، والاستِعمالُ الرَّئيسُ لِلفِعلِ الرّابِطِ، وما إلى ذلكَ، كُلُّ أُولئكَ لَهُ هذهِ الوَظيفَةُ))[٥٢].

وذَكَرَا في مَوضِعٍ آخَرَ أنَّ التَّخَيُّلاتِ اللغويَّةَ إنَّما تَحدُثُ بِإحدَى طَريقَتَيْنِ، إحداهُما ما سَبَقَ نَقلُها عنهما آنِفًا وهيَ المُكَمِّلاتُ اللغويَّةُ، أي الكَلِماتُ التي تُمَثِّلُ المُجَرَّداتِ، والأُخرَى ((إضفاءُ بُعدٍ مادِّيٍّ على الآلِيّاتِ البِنائيَّةِ الرّابِطَةِ نحوِ 'أَو'، و'إن'، و'لَيسَ'، إلخ، التي لا تَستَهوِي إلاّ المَناطِقَةَ))[٥٣].

والحَقُّ أنَّ ما قَدَّمَهُ مُؤَسِّسَا النَّظريَّةِ هُنا يُؤَيِّدُهُ كثيرٌ مِن مُنَظِّرِي عِلمِ اللغةِ الحديثِ؛ إذ يَنُصُّ جَون لاينز على وجوبِ التَّفريقِ بينَ مَجموعتَيْنِ مِن الكَلِماتِ، أطلَقَ على مُفرَداتِ إحداهُما اسمَ الكَلِماتِ التّامَّةِ، وعلى مُفرَداتِ الأُخرَى اسمَ الكَلِماتِ الوَظيفيَّةِ. فالكَلِماتُ التّامَّةُ هيَ التي تنتمي إلى مُعظَمِ أقسامِ الكَلامِ مِن الأسماءِ والأَفعالِ والصِّفاتِ وغيرِها. أمّا الكَلِماتُ الوَظيفيَّةُ فيُمَثِّلُ لَها لاينز بِأَداةِ التَّعريفِ the، وحروفِ الجَرِّ of, at, for، وأداتَي الرَّبطِ and, but، وأداةِ النَّفيِ not، وهي تتميَّزُ عندَهُ بِانتِسابِها إلى مجموعةٍ قليلةِ العددِ، وبأنَّها أقَلُّ اتِّصافًا بِالمُعجَميَّةِ التّامَّةِ مِن الكَلِماتِ التّامَّةِ[٥٤]. فكَلامُهُ هذا واضِحٌ في أنَّ الأَدَواتِ التي ذَكَرَها والتي سَمّاها الكلِماتِ الوَظيفيَّةَ تُفارِقُ الكَلِماتِ التّامَّةَ في نَقصِ دَلالتِها المُعجَمِيَّةِ، وفي أنَّ مُهِمَّتَها تأدِيَةُ مَعنًى وَظيفِيٍّ في الكَلامِ لا مَعنًى مُعجَمِيٍّ.

المَبْحَثُ الثّالِث/ التَّلَقِّي العَرَبِيُّ لِنَظَرِيَّةِ المُثَلَّثِ الدَّلالِيّ:

ليسَ بِمُستَغرَبٍ، بَعدَ ما رأيْنا مِن أَخذٍ ورَدٍّ في فَهمِ نَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز ونَقدِها في الغَربِ، أن يكونَ تَلَقِّي كثيرٍ مِن الدّارسِينَ العربِ لَها ولِما دارَ حَولَها مِن جَدَلٍ ونَقدٍ في دِيارِ نشأتِها مَشوبًا بِاضطرابٍ كبيرٍ في الرُّؤيةِ وبِتخليطٍ غيرِ قليلٍ في التَّوجيهِ.

وإذا ما أرَدْنا أن نَضَعَ أيدِيَنا على المصدرِ الأَوَّلِ الذي نَهَلَ منهُ مُعظَمُ الدّارِسِينَ العربِ في ما يتعلَّقُ بِمُعطَياتِ هذهِ النَّظريَّةِ، ومِن ثَمَّ نَكونُ قد أَرَحْنا أنفُسَنا مِن عَناءِ مُلاحَقَةِ أَقوالٍ مَكرورةٍ ينقُلُها خَلَفُ الدَّلاليِّينَ العربِ عن سَلَفِهِم، كانَ علينا أن نَرجِعَ إلى كِتابِ (عِلم الدَّلالَة) لِلدُّكتور أحمد مُختار عُمَر، الذي يُشَكِّلُ نُقطةَ ابتِداءٍ حقيقيَّةً لِمُعظَمِ ما أُلِّفَ بَعدَهُ في الدَّلالَةِ في اللسانيّاتِ العربيَّةِ، ولا سِيَّما مِمَّن لا يُحسِنونَ النَّهلَ المُباشِرَ مِن مَنبَعِ اللغةِ الأَصليَّةِ التي كُتِبَتْ بِها أَدبيّاتُ عِلمِ الدَّلالةِ في الغَربِ. وعلى الرَّغمِ مِمّا كانَ لِهذا الكتابِ مِن فَضلِ إطلاعِ القارئِ العربيِّ على مساحةٍ واسعةٍ مِن حُقولِ الدَّلالةِ في اللسانيّاتِ الغربيَّةِ الحديثةِ، أَسهَمَ في ما يتعلَّقُ بِمَوضوعِنا في تَخليطِ أفكارِ مُطالِعِيهِ وتشتيتِ تَصوُّراتِهِم. على أَنّا نَسأَلُ اللهَ تَعالَى ألاّ يُؤاخِذَ كاتِبَهُ بِذلِكَ، بَل أَن يُجزِلَ لهُ المثوبةَ كِفاءَ ما نَفَعَ وبَذَلَ، وأَن يتجاوزَ لَهُ عَمّا أَخطأَ فيهِ وغَفَلَ.

وسيكونُ مَنهَجي في النَّظَرِ في ما عَرَضَهُ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر مِمّا يتعلَّقُ بِنَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز أن أُعَرِّجَ أوّلاً على ما فَسَّرَ بِهِ النَّظريَّةَ مِن حيثُ أُصولُها التي قامَتْ عليها، ثُمَّ أَتناوَلَ ما ذَكَرَهُ مِن مُؤاخَذاتٍ على النَّظريَّةِ ونُقودٍ لَها، غيرَ مُغفِلٍ في ذلكَ كلِّهِ ذِكرَ ما وَقَفْتُ عليهِ

مِن آراءِ عَدَدٍ مِمَّن شايَعَ الدُّكتور في ما ذَكَرَهُ مِمَّن جاءَ بَعدَهُ، أو آراءِ مَن كانَ لهُ رأيٌ ذو صِلَةٍ بِما قالَهُ الدكتور. وبِعبارَةٍ أُخرَى، سأجعلُ كلامَ الدُّكتور مِحوَرًا تَدورُ حولَهُ سائرُ الأقوالِ؛ تيسيرًا لِمَن رامَ التِقاطَ الفِكرةِ بِأيسرِ سبيلٍ، ووَضعًا لِلأُمورِ في نِصابَيْها العِلميِّ والتَّأريخيِّ؛ إذ كلُّ مَن جاؤوا بَعدَهُ عِيالٌ عليهِ بِنَحوٍ أو بِآخَرَ.

فإذا ما ابتَدَأْنا بِالتَّصَوُّرِ الذي قَدَّمَهُ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر لِلنَّظريَّةِ ألفَيْناهُ يُقَدِّمُ بينَ يَدَي كَلامِهِ عليها مُخطَّطَ المُثَلَّثِ الذي أتَى بِهِ أوغدِن ورِتشاردز، مُتَرجِمًا عَناصِرَهُ الثَّلاثَةَ بِمُقابِلاتٍ مَقبولَةٍ في الجُملةِ، وإن كُنتُ أُخالِفُهُ في بَعضِ ما اختارَهُ، لكِنَّ ذلكَ مِن مَواطِنِ الاجتِهادِ التَّرجَميِّ؛ إذ تَرجَمَ Symbol بِـ(الرَّمز–الكلمة–الاسم)، و Thought or Reference بِـ(الفِكرَة–المَرجِع–المَدلول)، و Referent بِـ(الشَّيء الخارجيّ– المُشار إليه)[٥٥].

ثُمَّ شَرَعَ الدُّكتور يُفَسِّرُ المَقصودَ بِعَناصِرِ المُثَلَّثِ والعَلاقاتِ الرّابِطةِ بَينَها، بِما لا يَخرُجُ عَمّا جاءَ في كِتابِ (مَعنَى المَعنَى) لِمُؤَسِّسَي النَّظريَّةِ. لكِن لَفَتَ نَظَرِي كَثيرًا ما جاءَ في هامِشِ الكِتابِ مِن قَولِ الدُّكتور مُعَلِّقًا على طَبيعَةِ العَلاقَةِ بينَ الرَّمزِ والفِكرةِ بِأنَّها عَلاقَةٌ عَرَضِيَّةٌ[٥٦]. والحَقُّ أنّي وقَفْتُ مَشدوهًا أمامَ هذهِ العِبارةِ الوَجيزَةِ في ألفاظِها الهائلَةِ في دَلالتِها؛ ذلِكَ بِأنَّها تَعني أحدَ احتِمالَيْنِ، أحدُهُما: أن أكونَ أنا وكلُّ مَن نَقَلْتُ عنهُم مِن عُلَماءِ الدَّلالةِ في الغَربِ واهِمِينَ وَهمًا شَديدًا في فَهمِ النَّظريَّةِ؛ إذ لَم أَقِفْ، كما لم يَقِفْ أُولئكَ، مِن كَلامِ صاحِبَي النَّظريَّةِ على ما يَشفَعُ في فَهمٍ كهذا، بل إنَّ صَريحَ كلامِهِما لَيَنطِقُ بِخِلافِ ذلكَ تَمامًا؛ إذ أَكَّدَا مِرارًا وتكرارًا، على ما سبَقَ النَّقلُ عنهُما، أنَّ العَلاقَةَ الوَحيدَةَ مِن بينِ العَلاقاتِ الثَّلاثِ الواصِلَةِ بينَ عناصِرِ المُثَلَّثِ التي تكونُ مُباشِرَةً خالِصَةً هي التي تَصِلُ الرَّمزَ بِالفِكرَةِ، وأكَّدَا كذلكَ أنَّها عَلاقَةٌ سَببيَّةٌ. فهَل لِعَلاقَةٍ أن تكونَ مُباشِرَةً وسببيَّةً وأن تكونَ عَرَضِيَّةً في الوقتِ نَفسِهِ؟ ومَعلومٌ أنَّ ما هوَ عَرَضِيٌّ يكونُ زائلاً غيرَ دائمٍ وغيرَ أساسيٍّ إذا ما قيسَ إلى الجَوهريِّ والأَساسيِّ، وهذا خِلافُ ما بُنِيَتْ عليهِ النَّظريَّةُ في أحَدِ أهَمِّ مُعطَياتِها.

والاحتِمالُ الآخَرُ: أنَّ الدُّكتور هوَ الواهِمُ في تَوصيفِ العَلاقَةِ المذكورةِ آنِفًا. لكِنْ إن كانَ الأمرُ كذلكَ فَمِن أَينَ أُتِيَ في هذا الفَهمِ الغريبِ الذي ليسَ لهُ فيهِ سَنَدٌ ولا سَلَفٌ؟ والذي تَوَصَّلْتُ إليهِ بَعدَ تأمُّلٍ ليسَ بِالطَّويلِ أنَّ مَنشَأَ هذا الوهمِ أمرانِ، أحدُهُما: التَّسرُّعُ في التَّرجَمَةِ، والآخَرُ: عَدَمُ التَّأنِّي في فَهمِ مُعطَياتِ النَّظريَّةِ.

أمّا أوَّلُ الأَمرَيْنِ فبَيانُهُ يَشوبُهُ شَيءٌ مِن الطَّرافَةِ؛ ذلكَ بِأنَّ الذي تبيَّنَ لي أنَّ الدُّكتور لمّا رَجَعَ إلى ما أَثبَتَهُ مُؤَلِّفَا كِتابِ (مَعنَى المَعنَى) حَولَ المُثَلَّثِ مِن إيضاحاتٍ وَجَدَهُما يُعَبِّرانِ عن بَعضِ ما تَتَّصِفُ بِهِ العَلاقَةُ بينَ الرَّمزِ والفِكرَةِ بِكلِمةٍ لم يَقرَأْها على وجهِها الصَّحيحِ بل زاغَتْ عَيْنُهُ زَيْغًا يَسيرًا لكِنَّهُ كان كافِيًا لِيَمسَخَ الكلمةَ عَمّا أُريدَ بِها فيَتَحَوَّلَ المَعنَى إلى ما لَم يَدُرْ بِخَلَدِ مُؤَسِّسَي

النَّظَريَّـةِ فَضـلاً عَمَّـن جـاءَ بَعـدَهُما. وتَفصـيلُ ذلـكَ أنَّ الكَلمـةَ المَعنِيَّـةَ هـيَ بِلُغَتِهـا الإنجليزيَّـةِ الأُمِّ Causal، أي سَبَبِيَّةٌ، فما كانَ مِن الدُّكتور إلاّ أن انحرَفَتْ عينُهُ فقدَّمَتْ حرفَ الـS على حرفِ الـU فقرأَ الكلمَةَ Casual، التي تُتَرجَمُ بِالعَرَضِيَّةِ. أفرأَيْتَ كيفَ يَجني على الباحِثِ تَسرُّعُهُ، ولا سيَّما في مَوطِنٍ يَستَحِقُّ طُولَ النَّفَسِ وكثرةَ التَّأَمُّلِ، هذا إن أتَى مِن باحثٍ مّا، فكيفَ بِمَن يتصَدَّى لِمُهِمَّةِ نَقلِ منظومةٍ دلاليَّةٍ صَعبَةٍ مِن مَنشَئِها إلى أهلِ جِلدَتِهِ لِيَفهَموها ويَجعَلوها مُنطَلَقًا لإسهاماتِهِم اللسانيَّةِ؟

أمّا الأمرُ الآخَرُ فلَو أنَّ الدُّكتور كانَ قد صَبَرَ نَفسَهُ على قِراءَةِ النَّظريَّـةِ ولو بِالمُطالعَةِ المتأنِّيَةِ لِلمُثَلَّثِ وما أُثبِتَ عليهِ وما عُلِّقَ بِهِ عليهِ لَكانَ لَهُ مِن كُلِّ ذلكَ عُدَّةٌ وزادٌ يُعينانِهِ على دَفعِ الوَهمِ المذكورِ عن نَفسِهِ.

وليسَ ما مَضَى هوَ المُؤاخَذَةَ الوحيدَةَ على ما قَدَّمَهُ الدُّكتور مِن تَصوُّرٍ كُلِّيٍّ لِلنَّظريَّـةِ، بل إنِّي وَقَفْتُ على تَخليطٍ لَدَيْهِ انتقَلَ إلى كُلِّ مَن قَبَسَ منهُ ونَهَلَ مِن مَعينِهِ؛ فبَعدَ أن تحدَّثَ بِإيجازٍ عمّا جاءَ بِهِ أوغدِن ورِتشاردز وذَكَرَ أنَّ ما قَدَّماهُ يُعَدُّ امتِدادًا وتَطويرًا لِما جاءَ بِهِ سوسير مِن قَبلُ، عَلَّقَ بِقَولِهِ إنَّ ما تَؤُولُ إليهِ النَّظريَّةُ إجمالاً هوَ أنَّ معنَى الكلمةِ هو إشارتُها إلى شَيءٍ غيرِ نَفسِها، وهذا مِمّا لا غُبارَ عليهِ، لكِنَّهُ ذكَرَ بعدَ ذلكَ ما يُمكِنُ أن يُناقَشَ فيهِ كثيرًا، وهوَ أنَّ ثَمَّةَ وِجهَتَيْنِ أو رأيَيْنِ في هذهِ النَّظريَّـةِ؛ أحدُهُما يَسيرُ في اتِّجاهِ أنَّ مَعنَى الكلمةِ هوَ ما تُشيرُ إليهِ، والآخَرُ يَنحو مَنحَى أنَّ مَعنَاها هوَ العَلاقَةُ بينَ التَّعبيرُ وما يُشيرُ إليهِ. فعَلَى الرَّأيِ الأَوَّلِ تقتَصِرُ دِراسةُ المَعنَى على دِراسَةِ عُنصُرَيْنِ مِن عَناصِرِ المُثَلَّثِ هُما الرَّمزُ والمُشارُ إليهِ، أمّا على الرَّأيِ الثّاني فلا بُدَّ مِن دِراسَةِ العَناصِرِ الثَّلاثةِ؛ لأَنَّ الوُصولَ إلى المُشارِ إليهِ يكونُ مِن طريقِ الفِكرةِ أو الصُّورةِ الذِّهنِيَّةِ المُتوسِّطَةِ بينَ العُنصُرَيْنِ السّابِقَيْنِ(٥٧).

هذا ما ذَكَرَهُ الدُّكتور، وقد يَرَى قارِئُ كلامِهِ أنَّ الرَّأيَ الثّانيَ هوَ المُعَبِّرُ الحقيقيُّ عن نَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز. فإن كانَ الأمرُ كذلكَ، وهو كذلكَ، فَما قِصَّةُ الرَّأيِ الأوَّلِ، وكيفَ صِيرَ إلى هذهِ القِسمةِ الثُّنائيَّةِ في بيانِ حقيقةِ هذهِ النَّظريَّةِ؟

ولا أظُنُّهُ يَخفَى على مَن طالَعَ ما سُطِّرَ في هذا البَحثِ حتّى الآن أنَّ مَرَدَّ الرَّأيِ الأَوَّلِ هذا إلى ما كانَ عليهِ أفلاطونُ مِمّا سَبَقَ ذِكْرُهُ عنهُ، وقد ذَكَرْتُ ثَمَّةَ أنَّ مَذهَبَ أفلاطونَ هذا أَطلَقَ عليهِ عُلَماءُ الدَّلالـةِ فـي الغَربِ اسمَ مَذهَبِ التَّسمِيَةِ Naming، تَمييزًا لَـهُ مِن مَذهَبٍ آخَرَ فـي دِراسـةِ المَعنَى هوَ مَذهَبُ التَّصوُّراتِ Concepts الذي يَنطَوي تَحتَهُ مَذهَبانِ فَرعِيّانِ، يُعزَى أحدُهُما إلى سوسير ويُسَمَّى نظريَّة العَلامَة sign theory، والآخَرُ إلى أوغدِن ورِتشاردز وأُطلِقَ عليهِ اسمُ نَظريَّةِ المُثَلَّثِ السِّيميائيِّ semiotic triangle أو مُثَلَّثِ الدَّلالَةthe triangle of signification أو المُثَلَّثِ الأَساسِيّ basic triangle. ويَضُمُّ كُلاًّ مِن مَذهَبَي التَّسمِيَةِ والتَّصوُّراتِ اتِّجاهٌ كبيرٌ في دِراسَةِ المَعنَى ذَكَرْتُ آنِفًا أنَّهُ يُدعَى المَنهَجَ التَّحليليَّ أَو الإحاليَّ analytical or referential

approach، بِـإزاءِ المَـنهَجِ الآخَـرِ الـذي يُطلَـقُ عليـهِ اسـمُ المَـنهَجِ الإجرائـيِّ operational approach. كلُّ ذلكَ مَسطورٌ في ما مضَى مِن البَحثِ، وليسَ في هذا المَوضِعِ إلاّ إعادَةُ تَلخيصٍ وتَكرارُ تَنبيهٍ. ومِمّا يُلحَظُ أنَّ هذهِ الشَّبَكةَ مِن التَّفريعاتِ في تَسمِياتِ مَذاهِبِ دِراسةِ المَعنَى عندَ الغَربِ لا تَشوبُها شائبَةُ التَّداخُلِ المُصطلَحِيِّ، ولا آفَةُ عَدَمِ الدِّقَّةِ في انطِباقِ المُصطلَحِ على مَفهومِهِ.

فإذا ما قَدِمْنا إلى ما أنجَزَهُ دارِسُو الدَّلالَةِ مِن العربِ مِن مُقابِلاتٍ لِكُلِّ أُولئكُم الاصطِلاحاتِ ألفَيْنا تَخليطًا كبيرًا، وشَتاتًا كثيرًا، وتَخَبُّطًا في التَّسمِيَةِ والفَهمِ على حَدٍّ سَواءٍ. فلَو ابتَدَأْنا بِكِتابِ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر لَوَجَدْنا الخَلطَ في شَبَكَةِ المُصطلَحاتِ أحَدَ الأسبابِ الرَّئيسةِ التي دَعَتْهُ إلى نِسبَةِ رَأيَيْنِ في دِراسَةِ المعنَى إلى النَّظريَّةِ الإحالِيَّةِ referential theory التي كانَ قد عَزَاها أَوَّلَ حديثِهِ عنها إلى أوغدِن ورِتشاردز[٥٨]؛ فلَو أنَّهُ كانَ قد سَلَكَ مَسلَكَ عُلماءِ الدَّلالةِ الغَربيِّينَ في جَعلِ نظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز، التي أَسمَوْها نَظريَّةَ المُثَلَّثِ السِّيميائيِّ أو الأَساسِيِّ، إحدَى نَظريّاتِ دِراسةِ المَعنَى المُنضَوِيَةِ تحتَ الاتِّجاهِ الإحالِيِّ، إذَن لَكانَ في مَنجاةٍ مِمّا وَقَعَ فيهِ مِن تخليطِ جَعلِ اسمِ النَّظريَّةِ الإحالِيَّةِ عَلَمًا على إنجازِ أوغدِن ورِتشاردز، والإقدامِ على جَعلِ النَّظريَّةِ التي نَسَبَها الغَربيُّونَ إلى أفلاطونَ رَأيًا آخَرَ لِنظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز[٥٩].

وقد فَطنَ بعضُ المُشتَغلِينَ بِالمَعنَى مِن العَرَبِ إلى التَّناقُضِ الذي في طَرحِ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر؛ إذ صَرَّحَ الدُّكتور محمَّد حسن حسن جبل بِأنَّ ما فَهِمَهُ مِن مَصادِرِ عِلمِ الدَّلالَةِ المُتَرجَمَةِ إلى العربيَّةِ هوَ أنَّ المعنَى في النَّظريَّةِ الإشاريَّةِ هوَ ((العَلاقَةُ بينَ اللفظِ والمَدلولِ الذي هو الفِكرَةُ الذِّهنِيَّةُ، وهيَ عَلاقَةُ استِدعاءٍ، أي كُلٌّ منهما يَستَدعي الآخَرَ، أو هو الفِكرةُ الذِّهنِيَّةُ نَفسُها))[٦٠]، لكِنَّهُ حينَ رَجَعَ إلى كِتابِ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر ألفاهُ يَنُصُّ على غيرِ ذلكَ، وهو ما سَبَقَ نَقلُهُ عنهُ[٦١].

وفي كَلامِ الدُّكتور محمَّد حسن حسن جبل خَلْطٌ آخَرُ في فَهمِ طبيعَةِ المَعنَى في نظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز؛ فالاقتِصارُ في دِراسةِ المَعنَى على الرَّمزِ والمَدلولِ الذي ظَنَّهُ مَذهَبًا لأوغدِن ورِتشاردز إنَّما يُمَثِّلُ التَّبسيطَ الذي اقتَرَحَهُ ستيفِن أُولمان لِمُعطَياتِ نظريَّةِ الرَّجُلَيْنِ، أمّا الاقتِصارُ على المَدلولِ فقط فيُنسَبُ إلى الفيلسوفِ الإنجليزيِّ جون لوك[٦٢].

ووَقَعَ الدُّكتور البدوي زهران في تخبُّطٍ أشَدَّ؛ إذ قَرَّرَ أنَّ التَّصنيفَ الأقربَ لِنظريّاتِ المعنَى هو أنَّها على ثَلاثةِ أقسامٍ، أحدُها ما دَعاهُ النَّظريَّةَ الإشاريَّةَ التي يَرى بعضُ المُنتَمِينَ إليها أَنَّ المعنَى هوَ المُسَمَّى نَفسُهُ، ويرَى بعضٌ آخَرُ أنَّ مَعنَى الاسمِ مِن مُسَمّاهُ[٦٣]، فهذا اضطرابٌ في

الفَهمِ. ثُمَّ ذَكَرَ أنَّ لِلنَّظريَّةِ اسمًا آخَرَ هوَ النَّظريَّةُ الاسميَّةُ في المعنَى(٦٤). وهي نَظريَّةُ التَّسمِيَةِ عندَ أفلاطونَ نَفسُها المذكورةُ آنِفًا، فهذا تَخليطٌ في المُصطَلَحِ(٦٥).

وإذا ما انتَقَلْنا إلى ما نَقَلَتْهُ مُصَنَّفاتُ الدَّلالةِ في العربيَّةِ مِن مُؤاخَذاتٍ ونُقودٍ اعتُرِضَ بِها على نَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز وَجَدْنا غيرَ قليلٍ مِن الاضطِرابِ أيضًا في هذا المَجالِ، مَرَدُّهُ إلى الاتِّكاءِ على ما ذُكِرَ في كِتاباتِ اللسانيِّينَ الغربيِّينَ مِن مُؤاخَذاتٍ ساقَها بعضُ دَلالِيِّي الغَربِ مِن غيرِ تَفريقٍ، في كثيرٍ مِن الأحيانِ، بينَ ما هوَ مُوَجَّهٌ في الأصلِ إلى مَذهَبٍ إحالِيٍّ آخَرَ غيرِ نظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز وما سيقَ في الأَصلِ لِنَقدِها بِعَيْنِها، ومِن غيرِ عَرضٍ دَقيقٍ، في الغالبِ، لِوِجهَةِ نَظَرِ صاحِبَي النَّظريَّةِ في ما صَحَّ أنَّهُ مُوَجَّهٌ في الأَصلِ إليهما. وقد سَبَقَ أيضًا أن نُوقِشَ المُهِمُّ من كُلِّ ذلكَ في المَبحَثِ الثّاني، فلا داعيَ إلى إعادَةِ القَولِ فيهِ وتَكرارِ الكَلامِ عليهِ(٦٦).

نَتائجُ البَحْثِ:

بَعدَ هذهِ الجَولَةِ، أَوَدُّ أَنْ أُثبِتَ عددًا مِن النَّتائجِ التي توصَّلَ إليها البَحْثُ، وهيَ الآتِيَةُ:

١. عُرِفَ مُنذُ أَقدَمِ العُصورِ أَنَّ لِلدَّلالَةِ عُنصُرَيْنِ هُما: الدّالُّ والمَدلولُ، وأنَّ ارتِباطَهُما يُؤَدِّي إلى حُصولِ الدَّلالَةِ. لكِنَّ المُشكِلَةَ الرَّئيسَةَ تَكمُنُ في تَحديدِ طبيعَةِ هذَيْنِ العُنصُرَيْنِ، وطَبيعَةِ العَلاقَةِ بينَهُما. ومِن أَقدَمِ الاتِّجاهاتِ في ذلكَ (مَذهَبُ التَّسْمِيَةِ Naming) الذي تَبَنّاهُ أفلاطونُ، إذ عَدَّ الدّالَّ signifier كلِمةً في اللغةِ، والمَدلولَ signified شَيئًا موجودًا في العالَمِ تُمَثِّلُهُ الكَلِمةُ أَو تُحيلُ عليهِ أو تَدُلُّ عليهِ. فخَيْرُ وسيلَةٍ لِلحصولِ على المَعنَى على هذا المَذهَبِ هيَ الإشارَةُ بِاليَدِ إلى الشَّيءِ الذي تُمَثِّلُهُ الكلمةُ.

٢. حَدَثَ بَعضُ التَّطوُّرِ في مَفهومِ الدَّلالةِ وعناصِرِها في العُصورِ الوُسطَى؛ فبَعدَ أن كانَتْ كِيانًا مُزدَوِجَ البِنيَةِ أَصبَحَ يُنظَرُ إليها بِوَصفِها كِيانًا ذا أبعادٍ ثَلاثَةٍ، إذ قَرَّرَ السكولاستِيُّونَ أنَّ الكَلِمَةَ تَدُلُّ على الشَّيءِ مِن طريقِ تَوَسُّطِ المَفاهيمِ.

٣. أعادَ سوسير الاعتِبارَ إلى قُطبَي الدَّلالَةِ الدّالِّ والمَدلولِ، فالعَلامَةُ الألسُنِيَّةُ عندَهُ تَداعٍ لِصورَتَيْنِ ذِهنِيَّتَيْنِ، وشَيءٌ سَمعِيٌّ دالٌّ أو اسمٌ، ومَفهومٌ مَدلولٌ أو مَعنًى.

٤. بَعدَ أن كانَتِ الدَّلالَةُ عندَ سوسير كِيانًا ذا مُكَوِّنَيْنِ هُما الفِكرةُ والصُّورةُ الصَّوتِيَّةُ أَصبَحَتْ عندَ أوغدِن ورِتشاردز كِيانًا ذا أَبعادٍ ثَلاثَةٍ؛ أَوَّلُها الرَّمزُ symbol؛ وثانيها الفِكرَةُ أو الإحالَةُ reference؛ وثالِثُها المَرجِعُ referent.

٥. شَدَّدَ أوغدِن ورِتشاردز على سَيرورةِ المَعنَى عندَ المُتَكَلِّمِ قبلَ السّامِعِ بِما لا يَدَعُ مَجالاً لِلشَّكِّ في اهتِمامِهما بِهِ، بِخِلافِ ما أُوخِذا بِهِ مِن إهمالِهِ؛ إذ قَرَّرَا أنَّ الكلِمَةَ التي نَتَكَلَّمُ بِها مُسَبَّبَةٌ جُزئيًّا عن الفِكرةِ التي نُنشِئُها، وأنّا حينَ نَسمَعُ ما يُقالُ تُسَبِّبُ الكلماتُ لنا أَمرَيْنِ، أَحدُهما الفِكرَةُ، والآخَرُ اتِّخاذُ مَوقِفٍ مُشابِهٍ لِفِعلِ المتَكَلِّمِ ومَوقِفِهِ، بِحَسَبِ مُقتَضَياتِ الأَحوالِ.

٦. تُفارِقُ الأَدَواتُ أَو الكلِماتُ الوَظيفيَّةُ الكَلِماتِ التّامَّةَ في نَقصِ دَلالتِها المُعجَمِيَّةِ، وفي أنَّ مُهِمَّتَها تأدِيَةُ مَعنًى وَظيفِيٍّ في الكَلامِ لا مَعنًى مُعجَمِيٍّ، فلا وَجْهَ لِمُؤاخَذَةِ أوغدِن ورِتشاردز بِعدَمِ اشتِمالِ نَظريَّتِهِما الدَّلالِيَّةِ على مُعالَجَةٍ لَها.

٧. نَجِدُ في مُصَنَّفاتِ الدَّلالةِ في العربيَّةِ غيرَ قليلٍ مِن الاضطِرابِ في الاعتِراضاتِ على نَظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز. ومَرَدُّ ذلكَ إلى الاتِّكاءِ على ما وَرَدَ في كِتاباتِ اللسانيِّينَ الغربيِّينَ مِن مُؤاخَذاتٍ ساقَها بعضُ دَلالِيِّي الغَربِ مِن غيرِ تَفريقٍ، في كثيرٍ مِن الأحيانِ، بينَ ما هوَ مُوَجَّهٌ في الأصلِ إلى مَذهَبٍ إحالِيٍّ آخَرَ غيرِ نظريَّةِ أوغدِن ورِتشاردز وما سيقَ في الأَصلِ لِنَقدِها بِعَيْنِها، ومِن غيرِ عَرضٍ دَقيقٍ، في الغالبِ، لِوِجهَةِ نَظَرِ صاحِبَي النَّظريَّةِ في ما صَحَّ أنَّهُ مُوَجَّهٌ في الأَصلِ إليهما.

الهَوامِش والمصادر:

[١] – يُنظر: *Semantics-An introduction to the Science of Meaning*, Stephen Ullmann, Oxford Basil Blackwell, 1977, p. 55, and *Linguistics Simplified-Semantics*, Damodar Thakur, Bharati Bhawan ,p. 122, 130.

[٢] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات، الدُّكتور حسن فوزي الشّايب، منشورات وزارة الثَّقافة الأردنيَّة، الطَّبعة الأولى، ١٩٩٩م: ٤٤٠.

[٣] – يُنظر: مَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة، فرانك بالمَر، ترجمة الدُّكتور خالد محمود جُمعَة، مكتبة دار العروبة، الكويت، الطَّبعة الأولى، ١٩٩٧م: ٥٥، ومُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات: ٤٤٠.

[٤] – يُنظر: *Linguistics Simplified-Semantics*, p. 123، ومُوجَزُ تاريخِ عِلمِ اللغةِ في الغَرب، ر. هـ. روبِنز، ترجمة الدُّكتور أحمد عوض، منشورات عالم المعرفة– المجلس الوطنيّ للثَّقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ٣٩.

[٥] – يُنظر: *Semantics-A New Outline*, F. R. Palmer, Cambridge University Press, 1977, p. 19. واللافِتُ لِلنَّظَرِ أنَّ التَّرجَمَةَ التي نَهَضَ بِها الدُّكتور خالد محمود جُمعة تَجاوَزَتْ نِسبَةَ هذا المَذهَبِ إلى أَفلاطونَ والإشارَةَ إلى مَصدَرِهِ وهو مُحاوَرَةُ (كراتيلوس). يُنظر: مَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة: ٥٥.

[٦] – يُنظر: *Linguistics Simplified-Semantics*, p. 123.

[٧] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات: ٤٤٠.

[٨] – يُنظر: مُوجَزُ تاريخِ عِلمِ اللغةِ في الغَرب: ٤٢.

[٩] – يُنظر: *Semantics*, John Lyons, Vol. I., Cambridge University Press, 1977, p. 96.، ومُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات: ٤٤١.

[١٠] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات: ٤٤١.

[١١] – يُنظر: مَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة: ٦٤.

[١٢] – يُنظر: عِلمُ الدَّلالَة، غيرو بيار غيرو، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٩٨٦م: ٣٨.

[١٣] – عِلمُ اللغةِ العامّ، فرديناند دي سوسور، ترجمة الدُّكتور يوئيل يوسف عزيز، منشورات جامعة الموصل، العراق، د.ط، ١٩٨٨م: ٨٤–٨٥.

[١٤] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في اللِسانِيّاتِ: ٤٤٢–٤٤٣.

[١٥] – يُنظر: *Semantics-A New Outline*, p. 25.

وارتأَى الدُّكتور خالد محمود جُمعَة، أَحَدُ مُتَرجِمِي كتابِ بالمَر، أن يُعَبِّرَ عن sign بِـ(الإشارَة)، وأنا أُفَضِّلُ تَرجَمَتَها بِما تَرجَمَها بِهِ الدُّكتور صبري إبراهيم السَّيِّد صاحِبُ التَّرجَمَةِ الأُخرَى السّابِقَةِ لِتَرجَمَةِ الدُّكتور خالد، أي بِالعَلامَةِ لِشُيوعِها وسَيْرِ مُعظَمِ المُدَوَّناتِ السِّيميائيَّةِ عليها، ومَنعًا لِلالتِباسِ الذي قد يَحدُثُ بِكَلِماتٍ إنجليزيَّةٍ أُخرَى تُؤَدِّي مَعنَى الإشارَةِ في العربيَّةِ مثلِ indicating، وpointing. أمّا semiotic triangle فقد تَرجَمَهُ الدُّكتور خالد بِـ(المُثَلَّث الإشارِيّ)، وأمّا الدُّكتور صبري فقد اختارَ أن يُتَرجِمَهُ بِـ(مُثَلَّث العَلامات)، وهاتانِ التَّرجَمتانِ تُقارِبانِ ما أَشارَ بِهِ أوغدِن ورِتشاردز إلى مُثَلَّثِهِما، إذ سَمَّيَاهُ The Triangle of Reference، لكِنَّهُما لا تَنقُلانِ بِدِقَّةٍ ما عبَّرَ بِهِ عنهُ فرانك بالمَر. يُنظَر: *The Meaning of Meaning*, C. K. Ogden and I. A. Richards, Harvest HBJ Book, 1989, p.88، وعِلمُ الدَّلالَة– إطارٌ جَديد، ف. ر. بالمر، ترجمة الدُّكتور صبري إبراهيم السَّيِّد، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، د.ط، ١٩٩٥م: ٤٦، ومَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة: ٦٤.

[١٦] – يُنظر: Semantics, John Lyons, Vol. I., p. 96.، ومُحاضَراتٌ في اللِسانِيّات: ٤٤١.

[١٧] – يُنظر: دَوْرُ الكلمةِ في اللغة، ستيفِن أُولمان، ترجمة الدُّكتور كمال بشر، دار غريب، القاهرة، الطَّبعة الثانية عشرة، د.ت: ٧٦.

[١٨] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 11.

[١٩] – يُنظر: دَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٦.

[٢٠] – يُنظر: دَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٦.

[٢١] – يُنظر: دَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٦.

[٢٢] – يُنظر: *Linguistics Simplified-Semantics*, p. 124-125.

[٢٣] – *The Meaning of Meaning*, p. 10.

[٢٤] – *The Meaning of Meaning*, p. 10-12.

[٢٥] – يُنظر: *Semantics*, John Lyons, Vol. I., p 96.

[٢٦] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في اللِسانِيّاتِ: ٤٤٤.

[٢٧] – يُنظر: *The Principles of Semantics*, Stephen Ullmann, Basil Blackwell, 1957, p. 72 ، ودَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٨.

[٢٨] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 6.

[٢٩] – يُنظر: دَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٨.

[٣٠] – يُنظر: *Semantics-An introduction to the Science of Meaning*, p. 57، ودَوْرُ الكلمةِ في اللغة: ٧٨.

[٣١] – يُنظر: *Semantics-An introduction to the Science of Meaning*, p. 57.

[٣٢] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 10-11.

[٣٣] – يُلْحَظُ أنَّ جون لاينز يَصِفُ في هذهِ الفِقرَةِ مِن كلامِهِ عَلاقَةَ الكَلِماتِ بِالأشياءِ عندَ أوغدِن ورِتشاردز بِأنَّها غيرُ سَبَبيَّةٍ، في حينِ أنَّهُما هُما أنفُسهُما وَصَفاها بِخِلافِ ذلكَ تَمامًا إذ قالا: ((والعَلاقَاتُ بينَ كَلِمَةٍ مّا والأشياءِ التي تُمَثِّلُها هذهِ الكَلِمَةُ غيرُ مُباشِرَةٍ ...، وهي، على ما أَكَّدْنا، سَبَبِيَّةٌ)). *The Meaning of Meaning*, p. 188. وأَظُنُّ أَنَّ سببَ ذلكَ اختِلافُ زاوِيَتَي النَّظَرِ؛ فجون لاينز إنَّما كانَ يَنظُرُ، فيما أَرَى، إلى جِهَةٍ واحِدَةٍ هيَ قاعدَةُ المُثَلَّثِ، فحكَمَ مِن ثَمَّ بِأَن لا عَلاقَةَ سببيَّةً بينَ طرفَيها، إذ لا يُمكِنُ أَن تَكونَ العَلاقَةُ بينَ ما اصطُلِحَ عليهِ أَن يَكونَ رَمزًا لِشَيْءٍ مّا على نَحوٍ اعتِباطيٍّ وهذا الشَّيْءِ عَلاقَةً سببيَّةً؛ أَمّا أوغدِن ورِتشاردز فكانَ نظرُهُما، فيما أَرَى كذلكَ، مُوَزَّعًا بينَ جِهَتَيْنِ، تَضُمُّ أُولاهُما طَرَفَيْ قاعدَةِ المُثَلَّثِ فقط، فحَكَما مِنْ ثَمَّ على العَلاقَةِ بينَهُما بِأَنَّها غيرُ مُباشِرَةٍ، وتَشتَمِلُ الثّانيَةُ على أَطرافِ المثَلَّثِ الثَّلاثَةِ جَميعًا، فحَكَما مِنْ ثَمَّ على العَلاقَةِ بينَ طَرَفَيْ قاعدَةِ المُثَلَّثِ بِأَنَّها سببيَّةٌ لأَنَّهُما كانا يَنظُرانِ إليها في هذهِ الحالةِ بِوَصفِها تَمُرُّ عبرَ عَلاقَتَيْنِ سببيَّتَيْنِ هُما اللتانِ تَربِطانِ الرَّمزَ بِالفِكرةِ والفِكرةَ بِالمَرْجِعِ، فكانَتْ غيرَ مُباشِرَةٍ باعتِبارِ الجِهةِ الأُولَى، وسببيَّةً بِاعتِبارِ الجِهَةِ الثّانيةِ.

[٣٤] – يُنظر: *Semantics*, John Lyons, Vol. I., p 97.

[٣٥] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِبيار غيرو: ٢٨.

[٣٦] – يُنظر: اللغةُ والمعنَى ومَعنَى الكَلِمَة: عِلم الدَّلالَة، د. آ. كروز – في ضِمنِ كتاب (الموسوعة اللغويَّة) لِلدُّكتور ن. ي. كولنج، ترجمة الدُّكتور محيي الدِّين حميدي والدُّكتور عبد الله الحميدان، منشورات جامعة الملك سعود، الرِّياض، د.ط، ١٤٢١هـ: ١٤٦/١.

[٣٧] – يُنظر: عِلمُ الدَّلالَة، كلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة الدُّكتورة نور الهُدى لوشن، المكتب الجامعيّ الحديث، الإسكندريّة، الطَّبعة الرابعة، ٢٠١١م: ٢٣.

[٣٨] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِكلود جرمان وريمون لوبلون: ٢٣.

[٣٩] – يُنظر: مَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة: ٦٤، و(عِلمُ الدَّلالَة) لِكلود جرمان وريمون لوبلون: ٢٣، واللغةُ والمعنَى ومَعنَى الكَلِمَة: عِلم الدَّلالَة: ١٤٦/١.

[٤٠] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 7.

[٤١] – *The Meaning of Meaning*, p. 206.

[٤٢] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِكلود جرمان وريمون لوبلون: ٢٣.

[٤٣] – *The Meaning of Meaning*, p. 90.

[٤٤] – *The Meaning of Meaning*, p. 68.

[٤٥] – *Linguistics Simplified-Semantics*, p. 125.

[٤٦] – يُنظر: مَدخَلٌ إلى عِلمِ الدَّلالَة: ٥٥–٥٨، و(عِلمُ الدَّلالَة) لِكلود جرمان وريمون لوبلون: ٢٠، واللغةُ والمعنَى ومَعنَى الكَلِمَة: عِلم الدَّلالَة: ١٤٧/١.

[٤٧] – يُنظر: *Linguistics Simplified-Semantics*, p. 125.

[٤٨] – *The Meaning of Meaning*, p. 98.

[٤٩] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 99.

[٥٠] – يُنظر: *The Meaning of Meaning*, p. 101.

[٥١] – *The Meaning of Meaning*, p. 124-125.

[٥٢] – *The Meaning of Meaning*, p. 88.

[٥٣] – *The Meaning of Meaning*, p. 99.

[٥٤] – يُنظر: اللغةُ وعِلمُ اللغة، جون لِيونز، ترجمة الدُّكتور مصطفى زكي حسن التوني، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، الطَّبعة الأولى، د.ت: ٢١٦–٢١٧.

[٥٥] – يُنظر: عِلمُ الدَّلالَة، الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر، مكتبة دار العروبة، الكويت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ٥٤.

[٥٦] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِلدُّكتور أحمد مُختار عُمَر: ٥٤ (الهامش ١).

[٥٧] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِلدُّكتور أحمد مُختار عُمَر: ٥٥.

[٥٨] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِلدُّكتور أحمد مُختار عُمَر: ٥٤.

[٥٩] – تَبَنَّى الكثيرُ مِن المُصَنِّفِينَ في الدَّلالةِ مِن العربِ هذا التَّصوُّرَ الذي طَرَحَهُ الدُّكتور أحمد مُختار عُمَر، ومِن أُولئكَ الدُّكتور محمود فهمي زيدان في كتابِهِ (في فلسفةِ اللغة)، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، د.ط، د.ت: ٩٦، ومَنقور عبد الجليل في كتابِهِ (عِلمُ الدَّلالَةِ– أصولُهُ ومَباحِثُهُ في التُّراثِ العربيّ)، اتِّحاد الكُتّاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١م: ٨٣–٨٤، والدُّكتور محمَّد أحمد خضير في كتابِهِ (التَّركيبُ والدَّلالةُ والسِّياقُ– دِراسةٌ نَظريَّة)، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، د.ط، ٢٠١٠م: ١٧، وغيرُهُم.

[٦٠] – المَعنَى اللُّغَوِيُّ– دِراسةٌ عَرَبيَّةٌ مُؤَصَّلَةٌ نَظريًّا وتطبيقيًّا، الدُّكتور محمَّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ١٥٣.

[٦١] – يُنظر: المَعنَى اللُّغَوِيّ: ١٥٣.

[٦٢] – يُنظر: (عِلمُ الدَّلالَة) لِلدُّكتور أحمد مُختار عُمَر: ٥٧.

[٦٣] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في عِلمِ اللغةِ العامّ، الدُّكتور البدوي زهران، دار العالم العربيّ، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م: ٢/ ٢١١.

[٦٤] – يُنظر: مُحاضَراتٌ في عِلمِ اللغةِ العامّ: ٢/ ٢١١.

[٦٥] – وَقَعَ في شَرَكِ هذا الخلطِ المُصطلَحيِّ أيضًا مَنقور عبد الجليل في كتابِهِ (عِلمُ الدَّلالَة– أصولُهُ ومَباحِثُهُ في التُّراثِ العربيّ): ٨٣.

[٦٦] – مِن دَواعي الإنصافِ ومُقتَضَياتِ العَدلِ أن أذكُرَ أنَّ بعضَ الباحِثِينَ العربِ كانَ بِمَنجاةٍ مِن مُعظَمِ ما ذُكِرَ مِن تَخليطٍ واضطِرابٍ، وإن كانَ لم يُوَفِّ نظريَّةَ أوغدِن ورِتشاردز ما تستحقُّهُ مِن العَرضِ والبَيانِ، لكِنْ حَسْبُهُ أنَّ مُطالِعَ ما كَتَبَهُ وإن لم يَخرُجْ بِتَصوُّرٍ مُفَصَّلٍ عن النَّظريَّةِ لِوَجازَةِ العَرضِ الذي قَدَّمَهُ لَها فإنَّهُ لا يَخرُجُ، في الجُملَةِ، مُضطَرِبَ البالِ ولا مَكدودَ الخاطِرِ. مِثالُ ذلكَ ما سَطَّرَهُ الدُّكتور فَوزي حَسَن الشّايب في كِتابِهِ (مُحاضَراتٌ في اللسانيّات): ٤٤٠–٤٤٥.